دكتور بهاء الأمير

الأمازيغ والفتوحات الإسلامية







دكتور بهاء الأمير

الأمازيغ والفتوحات الإسلامية



٢٠٢١

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر، إعداد إدارة الشؤون الفنية

الأمير، بهاء

الأمازيغ والفتوحات الإسلامية

المؤلف: دكتور بهاء الأمير

القاهرة، بهاء الأمير، ٢٠٢١م

١٨٥ ص، ١٧ × ٢٤ سم

١- الفتوحات الإسلامية

أ – العنوان ٩٥٣,٠٢

تدمك: 978.977.90.9409.0

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٩٥٤٠/٢٠٢١م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله يصطفي من يشاء من عباده، وهو تعالى أعلم حيث يجعل رسالته، والصلاة والسلام على النبي الأمي الأمين، المبعوث للناس كافة ورحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ومن أمم الأرض أجمعين.

وبعد،

فقد وصل إليَّ سؤال، يقول صاحبه واسمه Wajih:

"دكتورنا الفاضل، أرجو منك الإجابة على استفساري إن كان فيه ما يستدعي تنبيهاً للوعي أو تصحيحاً للفهم، وهو بخصوص حقيقة ما يقوله المنادون بالهوية الأمازيغية عن الصحابي عقبةَ بنِ نافع، حيث جعلوه سفاحاً بالنسبة للبربر والأمازيغ، ويتفاخرون بكُسَيلة والكاهنة، وكذلك عن السبب والغاية الحقيقية وراء إشعال صراع الهوية (بربر-أمازيغ-عرب) الذي اجتاح موافع التواصل الاجتماعي بين الدول العربية".

وموقف الأمازيغ أو البربر من الفتوحات الإسلامية، هو في حقيقته موقفهم من الإسلام والعرب والعربية، وهي كلها، كما ستعلم، ليست إلا جزءاً من مسألة أكبر وإفرازاً من إفرازاتها العديدة، وهذه المسألة الأم هي تفكيكُ بلاد الإسلام، وإذابة رابطته من بينها، وإسقاط عقيدة الأمة الواحدة، وإحلال العقيدة القومية محلها، وضرب

الحواجز النفسية والاجتماعية واللغوية والقانونية والسياسية بين بلدانها وشعوبها، وإلحاقها جميعاً، منفردة وفرادى، بالغرب.

وهذه هي الغاية الحقيقية التي هبطت الإمبراطوريات الماسونية على الشرق من أجلها، لكي تحوله إلى محضن للمشروع اليهودي ووسط قابل لاستيعاب اليهود وإقامة دولتهم ثم تمددها.

فمسألة البربر أو الأمازيغ وجه من المسألة الكبيرة التي من وجوهها الأخرى مسائل الأكراد والأتراك والأقليات الدينية والعرقية في كل بلد من بلاد الإسلام بعد سقوط عقيدة الأمة الواحدة وتفككها.

وأول وجوه هذه المسألة الكبيرة وأكبرها وفي قلبها مسألة العرب أنفسهم، هم ودولهم العاجزة وما بينها من خلافات وصراعات، والإمبراطوريات الماسونية التي وضعت بسياستها وسطوة جيوشها بذور هذه المشاكل جميعها، ثم تعهدتها وروتها، هي نفسها التي صنعت دول العرب وهندست خريطتها وخَلَّقت ساستها ونخبها.

واستراتيجية الإمبراطوريات الماسونية العميقة والرئيسية، من أجل تفكيك عقيدة الأمة الواحدة، والتي كانت محور سياساتها القانونية والإدارية والتعليمية والإعلامية في كل بلد هبطت عليه من بلاد الإسلام، بما فيها بلاد العرب، هي العمل على القفز بها خلف الإسلام، والعودة بها جميعاً إلى أوضاعها والصورة التي كانت عليها قبل ظهور الإسلام، عبر بعث ما كان من تاريخها قبل الإسلام وتمجيد أبطاله وشخوصه، وتحويلهم إلى رموز ونماذج ملهمة، وإحياء عاداتهم وأعيادهم، ثم احتضان ناشئة من كل بلد، وهم فراغ وصفحة بيضاء لم يتكون فيها شيء، والسعي من خلال التعليم والإعلام إلى وصلهم ذهنياً ونفسياً ومعرفياً بهذا التاريخ، وتجاوز الإسلام وإزاحته به،

وتـربيتهم علــى الانتســاب لشــخوص هــذا التــاريخ وأبطالــه والفخــر بهــذا الانتســاب واستلهامهم واتخاذهم رموزاً، من باب أنهم أجدادهم، وعلى الاحتفاء والاحتفال بعاداتهم وأعيادهم، ويواكب ذلك إسقاط جميع المعايير والموازين العقائدية والأخلاقية والقيمية في الحكم على هذا التاريخ وهؤلاء الأجداد.

فحقيقة ما فعلته الإمبراطوريات الماسونية في الشرق، هو أنها نقلت بلدانه كلها من العقيدة الإلهية ورابطة الإسلام إلى العقيدة الجاهلية ورابطة الآباء والأجداد، وهي نفسها العقيدة البني إسرائيلية التوراتية، وهي إفساد بني إسرائيل في الأرض كلها، وإطاحتها بالعقيدة الإلهية هو علوهم الكبير، كما فصلنا لك في كتابنا: شفرة سورة الإسراء.

ثم تكون المرحلة التالية، أن تتولى النخبة التي صنعتها الإمبراطوريات الماسونية في كل بلد استكمال إزاحة العقيدة الإسلامية بالعقيدة القومية، وإحلال الأعراق والدماء محل الديانة والرسالة، من خلال ما ورَّثته لها هذه الإمبراطوريات من مؤسسات سياسية، ونظم تعليمية وإعلامية، ووسائل أدبية وفنية، وبامتطاء كتل العوام العمياء بالشعارات والهتافات، وبالرقص والأغاني، وما يبتكرونه من أعياد واحتفالات.

وبهذه النقلة، وحلول عقيدة الأجداد الجاهلية محل عقيدة الإيمان الإلهية، صار أهل مصر بعد القفز خلف الإسلام، ووصلهم ذهنياً ونفسياً ومعرفياً بالمصريين القدماء، وتـربيتهم علــى تقديســهم، يمجـدونهم ويفخـرون بالانتســاب إلـيهم ويتخـذونهم رمـوزاً ويُرضَعون سيرتهم على أنهم أبطال، وهؤلاء المصريون القدماء كانوا قوماً وثنيين، وإباحيين منحلين، يعبدون الأصنام والشمس والقمر، وينكحون أخواتهم، وأحياناً بناتهم، ورمسيس الثاني الذي يحمل اسمَه أكبر ميدان في القاهرة، نكح ثلاثاً من بناته**!!**

وكذلك البربر بعد أن بعثت فرنسا الجاهلية فيهم، وربت ناشئة منهم عليها، وقفزت بهم خلف الإسلام، ووصلتهم بالضالين من آبائهم وأجدادهم، فصاروا يقدسونهم ويتخذونهم رموزاً ويفخرون بالانتساب إليهم، ويسعون إلى إحياء لغتهم وتقاليدهم، ويطيحون في طريقهم إلى ذلك بالإسلام ورسالته، ويسعون لإخراج البربر منه، لأنه جاءهم من جهة العرب الذين يمقتونهم لأنهم قاتلوا هؤلاء الأجداد الضالين وقتلوهم، ويُكرِّهون عموم البربر في العربية، لأنها لغة هؤلاء العرب، وهي لغة القرآن والوحي، وأحلوا محل العربية لهجات البربر غير المكتوبة وخط التيفيناغ البائد الذي لم تكتب به ورقة واحدة بخصوص أي شئ، واستخرجوه، أو استخرجه لهم الفرنسيون من النقوش التي على المقابر، وأسقطوا التقويم الهجري الذي يبدأ بهجرة محمد رسول الله وإقامة الدولة النبوية، لأنه تقويم العرب، وابتكروا، أو ابتكرت لهم فرنسا، تقويماً أمازيغياً ليحل محله، وبدأوه بوصول شيشنق الليبي إلى حكم مصر وتأسيسه للأسرة الثانية والعشرين، لأنه من البربر، وجعلوا شيشنق نفسه رمزاً للهوية الأمازيغية، وهو وثني من عبَدة الأصنام والشمس والقمر، والسنة التي اتخذوها بداية للتقويم الأمازيغي، وجعلوا عموم البربر يحتفلون بها، هي السنة التي أعلن فيها شيشنق نفسه حاكماً على مصر باسم: شيشنق مري أمون، أو شيشنق محبوب أمون، ونصب ابنه أوبوت كبيراً لكهنة آمون.

ومن أعجب وسائل الفرنسيين في فصل البربر عن الإسلام وتاريخه، وإقامة الحواجز بينهم وبين العرب، وفي تخليق هوية منفصلة لهم عن أمة الإسلام، ما بثوه في رؤوس من ربوهم من ناشئة البربر، وتعهدوهم حتى صاروا قادتهم، من أن اسمهم الذي عُرفوا به عبر آلاف السنين، وصار علماً عليهم عند جميع الأمم، ليس اسمهم، وأن لهم اسماً آخر وكانوا يجهلونه طوال تاريخهم، والأعجب أنهم أقنعوهم بذلك وصيَّروه عقيدة راسخة في نفوسهم وهم يخبرونهم في الوقت نفسه أنهم لا يعرفون

المعنى الحقيقي لهذا الاسم الآخر ومن أين أتى، وهو ما يزيدك يقيناً بما أخبرك الله عز وجل في كتابه، مِن أن مِن البشر مَن هم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً.

فالاسم الذي عُرف به البربر عند جميع الأمم التي كان لها صلة بهم، وصار علماً عليهم عبر التاريخ، وحتى سبعينيات القرن العشرين، هو البربر، وهو الاسم الذي كان يطلقه الرومان على جميع الشعوب والقبائل غير الرومانية الأصل في إفريقيا وآسيا وفي أوروبا نفسها، ولكنه صار علماً على شعوب شمال إفريقيا وقبائله، ولم يكن لهم قبلها اسم جامع يشملهم جميعاً، لأنه لم يوجد في أي حقبة دولة ولا نظام عام يجمع هذه الشعوب والقبائل كلها معاً.

والبربر هو اسمهم في الوثائق وكتب التاريخ الإغريقية والرومانية والبيزنطية والعربية والتركية والإنجليزية والفرنسية والإسبانية، وفي الكتب التي ألفها البربر أنفسهم إلى ما بعد منتصف القرن العشرين، ثم فجأة اكتشف الطراز الجاهلي من البربر، أو اكتشف لهم الفرنسيون، وهم يتأهبون لرفع رايات الهوية المنفصلة وشعاراتها، أن هذا الاسم لا يليق بهم، وأن اسمهم الحقيقي الأمازيغ.

يقول المؤرخ والانثروبولوجي الفرنسي جابرييل كومب، أحد أكبر دعاة الهوية المستقلة للبربر، وأحد الذين اشتركوا في ابتكار اسم الأمازيغ ودقه في رؤوس المتفرنسين من البربر، في كتابه: البربر ذاكرة وهوية، تحت عنوان: الاسم الحقيقي للبربر:

"لكن يوجد اسم عرقي آخرُ أوسعُ انتشاراً في البلدان البربرية، ويجوز أن نعتبره الاسم الحقيقي للبربر، هو الأمازيغ ... وقد كان الأصل في اسم أمازيغ مثاراً لبعض الجدال، كما هو الشأن في كل ما له صلة بالبربر، فقد درج الناس على أن يأخذوا

هذه الصفة بمعنى النبيل والحر، وهذه ترجمة صدق عليها كسيل، وجاء سارنيللي بمحاولة أخرى في هذا الباب، فقد رد هذا الاسم إلى الجذر: ZWG، الدال على الحُمرة، ولكن براس يرى أنه من المستحيل أن تكون لهذا الجذر صلة باسم: إمازيغن، وذلك لأسباب صوتية وصرفية على حد سواء، ويرى دو فوكو أن الكلمة الطوارقية: ماهق، وجمعها: إموهاي، تعود إلى الفعل: أها، ومعناه: سَلَب، فتكون: أمهي تعني: السلاب، أي: الغازي، وبالتالي فهي تدل على المحارب والنبيل والحر، ومن سوء الحظ أن هذا التفسير التقليدي لا يتوافق والمعطيات الصوتية، ففي لهجات الشمال يفترض ان يكون الفعل الموافق لـ: أهيAhey، هو: أويAwey، مما يفترض معه أن تكون تلك الكلمة: أماويAmawy، لا: أمازيغ Amaziy، وعليه فالتحوض يقتضينا أن نرد الاسم: Amaziy إلى الجذر: Iziy، الذي زال واندثر، ولم يبق منه سوى هذه الكلمة العرقية"[١].

وكما ترى، الفرنسيون هم من اكتشفوا للبربر فجأة وبعد آلاف السنين، أن البربر ليس اسمهم، وهم الذين اعتبروا أن: الأمازيغ، هو اسم البربر الحقيقي الذي جهلوه طوال هذه الآلاف من السنين، وهم الذين اختاروه لهم، والفرنسيون هم الذين اختلفوا في تفسير هذا الاسم، وتباينوا في تخمين معناه، وهم الذين اختاروا المعنى الذي شاؤوه من هذه التخمينات، وهم يقررون ويُقرون أنهم لا يعرفون أصل الكلمة التي اختاروها وأين جذرها الذي يفترضون وجوده ويقولون إنه ضاع واندثر.

أما قادة الطراز الجاهلي من البربر، فكل موقعهم من اسم الامازيغ، ودورُهم الوحيد في المسألة كلها، هو أنهم الرحم الذي لقحه الفرنسيون بالاسم وبالمعنى الذي اختاروه

---

١) المؤرخ الفرنسي جابرييل كومب: البربر ذاكرة وهوية، ص١٢٧-١٢٨.

لـه، ليكونـوا أداة بثـه فـي عمـوم البربـر، وتوظيفـه فـي تهيـيجهم وفصـلهم عـن العـرب وإخراجهم من الإسلام.

ولا ينبغي أن يكون قد فاتك أن أحد الأصول التـي خمنها الفرنسيون لكلمـة: أمازيغ، معنـاه، كمـا يخبـرك كومـب: سلب، وأن مـن يوصـف بهـذا الوصـف هـو السـلاب، ثـم يستغفل كومب من يوجه لهم كلامـه من البربر، بأن ذلك يدل علـى أن الأمازيغي هـو المحـارب والنبيل والحـر، بينمـا المعنـى الواضـح والصـريح لسلب والسـلاب أنـه اللـص وقاطع الطريق، وليس المحارب ولا النبيل ولا الحر.

ومـن الطريـف أن تعلـم أن المـؤرخ والانثروبولـوجي الفرنسـي جابرييـل كومـب، أحدَ الـذين اشـتركوا فـي ابتكـار اسـم الأمـازيغ ودقـه فـي رؤوس المتفرنسـين مـن قـادة البربـر، كـان أيضـاً المؤسـس الرئيسـي للموسـوعة الفرنسـية الخاصــة بشـؤون البربـر وأحـوالهم وتـاريخهم، والمشـرف علـى تحريرهـا، والطريـف أن الاسـم الـذي اختـاره لموسـوعته هـو: الموسوعة البربرية Encyclopédie Berbère، وليس الموسوعة الأمازيغية.

وفـي كتابنـا الـذي بـين يـديك، سـتجد أننـا نسـتخدم اسـمي البربـر والأمـازيغ، وجعلنـا عنوان الكتاب: الأمازيغ والفتوحات الإسلامية، وليس البربر والفتوحات.

فأما البربر فلأنه اسمهم الأصلي والتاريخي والعَلَم عليهم، وأما الأمـازيغ فلأنـه الاسم الذي يسمي به الطراز الجاهلي من البربر أنفسهم، والكتاب في الرد علـى هذا الطـراز خاصـة، وعلـى موقفـه مـن الفتوحـات الإسـلامية، وهـم يصـفون بـه أنفسـهم مـن بـاب الافتخار، ولأنه لا أحد يعرف على وجه اليقين معناه، فنحن نستخدمه في وصفهم من باب نقيضه، لأنه في حقيقته دلالة على استحمار الفرنسيس لهذا الطراز الجاهلي من البربر.

وتهييج عموم البربر والسعي إلى إخراجهم من الإسلام، وتخليق هوية جديدة لهم تفصلهم عن أمته، غاية الطراز الجاهلي من الأمازيغ ظاهراً، وهو في مستواه العميق غاية فرنسا، والطراز الجاهلي من الأمازيغ ليس سوى وسيلتها في الوصول إلى ذلك، أما في قراره المكين فهو غاية اليهود من خلف فرنسا ومن خلف الطراز الجاهلي من الأمازيغ.

وسوف تعلم أن الأمازيغي مُحند أراف بسعود، قام بتأسيس الأكاديمية البربرية في باريس، سنة ١٩٦٦م، وقام بتصميم علم للأمازيغ، وبوضع أبجدية أمازيغية، أخذت من اللهجات المحلية لقبائل البربر في الجزائر والمغرب، وكتبوها بخط التيفيناغ، وأن تأسيس الأكاديمية ونشاطها كان تحت رعاية اليهودي جاك بينيه، وبالتسهيلات التي قدمها لها بنفوذه، إذ كان المسؤولَ عن قسم إفريقيا الفرانكوفونية وملفاتها في الحكومة الفرنسية، ولكن المسألة أكبر من مجرد شخص أو أشخاص يهود هنا أو هناك، وتتعلق بالسياسات والأوضاع والعلاقات، وبالأبنية الذهنية والنفسية، أي بالسوفت وير، وليس بالأشخاص أو الهارد وير كما يفهم الأميون.

فالشرق كله منذ حملة الماسوني نابليون على مصر يدار من أجل المشروع اليهودي، وهو بوصلة حركة جميع الإمبراطوريات الماسونية التي غزته بجيوشها، وغزوها له كان من أجل إعادة رسم خريطته وهيكلته ذهنياً ونفسياً وسياسياً واجتماعياً، وإزالة العوائق والعقبات من تكوينه، ليكون محضناً مناسباً لاستقبال اليهود ولوضع بذور دولتهم ونموها، وهي مسألة محورية في عدد من كتبنا، ويمكنك أن تعود إلى تفاصيلها وأدلتها في كتب: الوحي ونقيضه، واليهود والحركات السرية في الكشوف الجغرافية وشركة الهند الشرقية البريطانية، وأول الآتين من الخلف، وبذور المشروع اليهودي في الشام.

والموقع المرسوم للبربر ولجميع الأقليات في الشرق، داخل خريطته التي كانت الإمبراطوريات الماسونية تسعى بجيوشها وسياساتها لإخراجها من الأذهان إلى الأرض وإعادة هيكلته بها، هو فصل غير العرب عن العرب، وتهييج غير المسلمين على الإسلام والمسلمين، وأن يخرجوا من الإسلام من يقدرون على إخراجه من المسلمين، ووصلهم جميعاً بدول الغرب، ليكونوا من أدوات تأهيل الشرق لاستقبال المشروع اليهودي، ثم وصلهم في المرحلة التالية، وبعد أن يظهر المشروع اليهودي على سطح الأرض، باليهود والدولة البني إسرائيلية نفسها، وتحويل جميع هذه الأقليات إلى ظهير تلقائي لها، يتوافق مشروعهم للانفصال عن الإسلام والعرب ودولهم مع المشروع اليهودي وتمدد الدولة البني إسرائيلية.

فإذا أدركت ذلك، لن تعجب إذا علمت أنه بينما يرفع الطراز الجاهلي من الأمازيغ وقادته شعارات الاختلاف عن العرب، والانفصال عنهم، والتمرد على العربية لأنها لغة هؤلاء العرب، والخروج على الإسلام لأن العرب هم من حملوه إليهم، في الوقت نفسه يتودد هذا الطراز الجاهلي من الأمازيغ إلى اليهود ويتمسح فيهم، ويبث في أدبياته أن اليهود هم الفئة الوحيدة من البشر التي كانت صديقة للبربر وامتزجت بهم عبر التاريخ.

ولأن اليهود أصدقاء البربر عبر التاريخ، فرد الجميل يقتضي مناصرة دولتهم، وإرسال الوفود إليها، ومد حبال الود معها، وفي رد الجميل منفعة متبادلة، فكما يناصرون الدولة البني إسرائيلية ومشروعَها للتمدد، فسوف تناصرهم بسطوتها وتسلطها في الشرق، وبموقعها ونفوذها في الغرب، وتكون ظهيراً لهم في تحقيق مشروعهم في إعادة شمال إفريقيا إلى صورته التي كان عليها قبل الإسلام وإقامة دولة منفصلة للبربر، وهكذا يندمج المشروعان معاً ويصيران مشروعاً واحداً.

فالآن نتركك لتبدأ رحلتك مع الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقيا، وموقف البربر منها وكيف واجهوها، وموقف الطراز الجاهلي من الأمازيغ من الفتوحات، وما يحفل به ما يبثونه عن الفتوحات من تدليس وتزوير، من أجل تحقيق غايتهم في تهييج عموم البربر على العرب وإخراجهم من الإسلام، وهي في حقيقتها غاية فرنسا واليهود.

دكتور بهاء الأمير

٥ ذو الحجة١٤٤٢هـ/١٥ يوليو ٢٠٢١م

من أمة الإسلام إلى بلاليص ستان

ما يقوله الأمازيغ في المغرب، وفي شمال إفريقيا عموماً، عن عقبة بن نافع ليس هو المشكلةَ الأصلية والأم، وما يقولونه عن الفتوحات، وعما فعله عقبة بن نافع، ليس دوافعَهم الحقيقية، والأمازيغ ودوافعُهم وغايتهم مجرد خيط في شبكة كبيرة، نسجتها أطراف أخرى للشرق كله، من أجل غاية أخرى خبيئة تختفي خلف الأمازيغ ونظرائهم في كل بلد من الشرق.

فمسألة الأمازيغ في المغرب وشمال إفريقيا وموقفُهم من عقبة بن نافع والفتوحات الإسلامية، هو نفسه مسألةُ المسيحيين وموقفُهم في مصر من عمرو بن العاص والفتح الإسلامي لمصر، ومسألةُ السُريان في الشام والعراق، وهي نفسها مع اختلاف في بعض الجوانب مشكلة الأكراد، وهذه المسائل جميعها إفرازات للخريطة البني إسرائيلية التوراتية للشرق ومِفتاحِ تصنيفهم القومي لشعوبه، الذي أزاحت بهما الإمبراطوريات الماسونية خريطة الشرق الإسلامية ومِفتاحَها القرآني.

والغاية الحقيقية والخبيئة التي كانت تريدها الإمبراطوريات الماسونية وتسعى إليها وهبطت على الشرق من أجلها، هي إعادةُ الشرق كله إلى صورته التي كان عليها قبل الإسلام، سياسياً واجتماعياً وعقائدياً وقيمياً وأخلاقياً، فتعيدَ بذلك هيكلتَه وتحولَه إلى محضن للمشروع اليهودي ووسطٍ مستوعب للدولة البني إسرائيلية وقابل لتمددها، وتوظيفُ جميع أطراف الشرق وعناصره في هذه الغاية، فيسعى كل طرف منهم إلى غايته التي تم تخليقُها وزُرعت في رأسه، وجميعهم لا يدركون أنهم إنما يسعون إلى غاية أخرى واحدة تم حجبها خلف هذه الغايات كلها.

وإسقاط إمبراطوريات الغرب الماسونية لدولة الإسلام الواحدة الجامعة لبلدانه، لم يكن مجرد مسألةٍ في المستوى السياسي فقط، بل ترتب عليه آثار جسيمة في وعي شعوب الشرق وتكوينِ دوله ومجتمعاته، وفي منظومة قيم كل بلد وأخلاقه وقوانينه وفهمه لتاريخه ولما يربطه بكل بلد آخر في العالم أو يفصله عنه.

وأحد أكبر هذه الآثار جسامةً إزالةُ رابطة الإسلام من تكوين دول الشرق ووعي شعوبه، وإخراجُ عقيدة الأمة الواحدة القرآنية من سياساتها وتعليمها وإعلامها، ثم من جميع طبقات المجتمع وأنسجته التي تكونت بهذه السياسات والتعليم والإعلام، وفي الوقت نفسه إحلالُ العقيدة القومية التوراتية البني إسرائيلية محل عقيدة الأمة الواحدة، لكي تصبح هي البِنيةَ الأساسية للأذهان والنفوس، والمنظارَ والميزانَ الذي يرون كل شيء به ويحكمون عليه من خلاله.

وهذه العقيدة العرقية القومية كانت وما زالت إحدى استراتيجيات الإمبراطوريات الماسونية، مع أول خطوة تضعها في كل بلد في الشرق، أن تبذرَ بذورها فيها وتتعهدَها وترويها وتوظفَ عملاء لها من أهل البلد في بثها ورفع راياتها وشعاراتها، ثم وضعُ سياسات قانونية وتعليمية وإعلامية تفضي إلى تكوين أجيال من ناشئة البلد تعتنق العقيدة القومية وتؤمن بها وتقاتل طواعية من أجل نشرها والحفاظ عليها.

والعقيدة القومية البني إسرائيلية لبلدان الشرق كلها، تعني تلقائياً أن يتحول العرب الذين حملوا الإسلام إلى هذه البلدان، في أذهان أهلها ووعيهم، من هداة ناشرين للرسالة، إلى غزاة محتلين.

فإذا كان في وعي المصريين أو الأمازيغ أنهم مسلمون وأن الرابطة التي تصلهم بمن حولهم أو تفصلهم هي الإسلام، فستكون المسألة في وعيهم وسيكون موقفهم من

العرب هكذا: العرب هم صحابة النبي عليه الصلاة والسلام الذين حملوا لنا الإسلام واهتدينا إلى نوره بفضلهم، وأزالوا بعدلهم الإمبراطورية البيزنطية الظالمة، وصرنا مع جميع الشعوب التي دخلت في الإسلام أمة واحدة.

أما إذا توارى الإسلام وذابت رابطته، وصار العرق والقومية هي الرابطةَ ومصدرَ الوعي والحاكم للمواقف، فستكون المسألة تلقائياً هكذا: العرب قوم بدوٌ خرجوا من الصحراء وغزو بلادنا واحتلوها ونكلوا بقومنا وأجبروا أباءَنا وأجدادَنا على طاعتهم والدخول في دولتهم وديانتهم.

ولا تتوهم أن هذا الموقفَ النفسيَ وهذا الوعيَ الذي صار فيه العرب المسلمون غزاةً، وصار الأجداد الضالون مصدرَ فخر، ولهم عند العرب ثأر ومن الوفاء للأجداد الأخذ بهذا الثأر، لا تتوهم أن هذا الموقفَ النفسي وهذا الوعي يختص به غير المسلمين في كل بلد أو قوم، بل هو موقفٌ نفسي ووعيٌ عامٌ، ويتكون تلقائياً عند كل من يتكون بالعقيدة القومية البني إسرائيلية، غير أن هذا الموقفَ والوعي يخففه عند المسلمين تدينُ من يتدين منهم، ومنزلةُ الصحابة المتوارثة في النفوس عبر الأجيال، ومن لم يكن متديناً وليس للصحابة في نفسه هذه المنزلة، ويعيش في أبخرة الشعارات القومية التي تبثها الدولة وإعلامها وتعليمها، فستجده في موقفه ووعيه كغير المسلمين سواءًا بسواء.

وفي مصر يصرح كثير من العلمانيين والشيوعيين، بعيداً عن عموم الناس حتى لا يهيجوا عليهم، أن النبي عليه الصلاة والسلام نفسَه رجلٌ حجازي وليس مصرياً، فلا علاقة لنا به، وأحدهم، وهو رئيس تحرير صحيفة خاصة ويُحسب على إحدى الجهات الأمنية، قال ذلك علانية في برنامج مذاع في التليفزيون، والذين علقوا في حينها على

ما قاله وصفوه بالفسق والضلال، وما قاله فسق وضلال من موقعهم الذي يقفون فيه، ولكنه قول يتسق مع الموقع القومي العلماني الذي يقف هو فيه، ومن ينتقدونه لا يدركون هذا العمق، وإذا كان هناك من يدرك ذلك منهم فلن يجرؤ على التصريح به، لأن الموقفَ القوميَ العلماني هو الخندق الذي تتمترس فيه الدولة المصرية منذ وضع أصولها أولُ الآتين من الخلف وأول من يصل إلى حكم مصر من خريجي حواري اليهود، بإرشاد ملهميه من الماسون في فرنسا.

أما غير المسلمين، فقد كانوا جُزراً متناثرة ومستقرة داخل دولة الإسلام الكبيرة، وحقوقهم محفوظة بقوة الإسلام نفسه، لكنهم لا يطمحون وليس في مقدورهم الطموحُ إلى ما فوق هذه الحقوق، ثم مع تفكك دولة الإسلام الجامعة لبلدانه، وزوال رابطة الإسلام من بين الشعوب، زاد الوزن النسبي لكل طائفة أو إثنية في كل بلد من البلدان التي تمزقت إليها دولة الإسلام، وصاروا مركزَ قوة فيه، لتحالفِ السلطة القومية العلمانية في كل بلد معهم، لكي يكونوا ذريعة العلمنة وإزاحة الإسلام وإقامة مؤسسات الدولة وصبغ مؤسسات التعليم والإعلام على خلافه، وقبلَ ذلك لتحالف إمبراطوريات الغرب الماسونية معهم ليكونوا من أدواتها في إزاحة الإسلام ومظاهره، وفي الضغط على السلطة في كل بلد، وفي تحريك المشهد حين يأتي أوانُ خطوة جديدة تتطلب تحريكه.

وفي الوقت نفسه تحول المسلمون داخل كل بلد إلى أغلبية كبيرة مستضعفة، ولا وزن لها، ولا يُحسب لها حساب في أي قرار، بعد أن انتقل ميزان القوة إلى الغرب ودوله ومنظماته في الخارج، وإلى الأقليات في الداخل.

والطوائف الدينية والأقليات العرقية في كل بلد في الشرق ترفع رايات القومية والوطنية والانتماء لتراب هذا البلد، وهذه الرايات والشعارات ليست عقيدتَها الحقيقية ولا هي ما تريده، بل هي غِلاف لعقيدةٍ وغايات أخرى تغرسها في نفوس أبناء الطائفة أو الإثنية وتربيهم عليها، وهي أنهم أهلُ البلد الأصلاءُ وأصحابُ هذه الأرض والتراب، وأن المسلمين الذين فيه ليسوا أهلَه، بل هم عربٌ غَزَوْه واحتلوه وغصبوه منهم، أو هم ضيوف وغرباء وسيأتي يوم يتمكنون فيه من إعادتهم إلى صحرائهم التي جاؤوا منها.

فغير المسلمين من الأمازيغ في شمال إفريقيا، ومن المسيحيين في مصر، ومن السُريان في العراق والشام، لا يرَون في المسلمين سوى أنهم أحفاد العرب الذين فتحوا هذه البلاد، حتى لو كانوا مثلَهم في هيئة الجسم والملامح ولون البشرة وجميع الخصائص الجسمية، وغايتُهم جميعاً ومنتهى آمالهم إخراجُ هؤلاء المسلمين الذين يرونهم أحفاد العرب من شمال إفريقيا، ومن مصر والشام والعراق، وإعادةُ الشرق كله إلى صورته وأوضاعه التي كان عليها قبل أن يظهر الإسلام ويصل به العرب إلى هذه البلاد، وليس عندهم موانع في أن يبيعوا الأوطانَ التي يختبئون خلف راياتها وشعاراتها، وأن يتحالفوا أو يتواطؤوا مع أي دولة أو قوة في الشرق أو في الغرب، أو يفتحوا لها بلادَهم لتحتلَها، طالما أنها تقربهم من هذه الغاية، أو تُوهمهم بذلك.

وهي عقيدة لا يخفيها رؤوس الكنيسة في مصر، ولا قادةُ الأمازيغ من العلمانيين وغير المسلمين في شمال إفريقيا، بل يصرح بها هؤلاء وأولئك.

والإمبراطوريات الماسونية كانت تدرك أن هذا ما سيحدث ويفرزه تلقائياً المعمارُ القومي الذي صنعته لبلاليص ستان وأقامتها فيه، ثم كان جزءٌ من استراتيجية هذه الإمبراطوريات وهي تصنع دول بلاليص ستان بهذه الهندسة القومية، أن تقوم في

الوقت نفسه بإثارة الطوا ئف والأقليات وتهييجها في كل بلد، وبذرِ بذور اختلافها عن المسلمين والعرب، وبعثِ لغاتها ولهجاتها التي اندثرت ولم يعد لها وجود، وإعادةِ صناعة وعيها وكتابة تاريخها بعد إزاحة الإسلام والرسالة عمقاً من هذا الوعي والتاريخ، والقفز خلفهما، وإحياءِ سيرة الأجداد قبل الإسلام وإحلالِها محله، ووصلِهم بها، وإقامة مدارسَ منفصلةٍ خاصةٍ بهم، واستقطابِ من يصلح منهم وإرسالهم إلى جامعات الغرب، لكي يتم تعبئةُ أذهانهم ونفوسهم بمناهج ومعلومات ومعارف، كلها تدور حول أنهم أصحاب البلد، وأن المسلمين الذين فيه عربٌ غزاة جاؤوا إليها من خارجها، وأن لهم هويةً أخرى منفصلةً ومتميزةً عن هوية هؤلاء العرب، بل ونقيضةً لها ولا مجال للقاء بينهما.

ثم يرث هؤلاء الذين صنعتهم الإمبراطوريات الماسونية على عينها، ومن يُظاهرهم من قادة الطائفة، هذه الإمبراطوريات، وهي ترفِدُهم، وحبالهم موصولة بها، فيرفعون أمام عموم الطائفة وعوامِها، رايات الاختلاف عن المسلمين، واستعادةِ البلد منهم، وإعادةِ العرب إلى بلادهم، ويواكب ذلك توظيفُهم مناهجَ الغرب التي حقنهم بها في تهييج هؤلاء العوام، عبر التنقيب عن روايات في كتب التاريخ وإسقاطِ غيرها، أو اقتناصِ عبارات بعينها واقتلاعها من سياقها، أو فبركةِ حكاياتٍ لا وجود لها أصلاً في أي مصدر، ليثبتوا بها أن العرب الذين جاؤوا بالإسلام إلى البلد كانوا سفاحين سافكي دماء، وتحويلِ المعارك الحربية إلى مجازر قام بها هؤلاء العرب، وتحويلِ الأجداد الذين قتلوا في هذه المعارك وفي ميادين القتال إلى ضحايا مسالمين، وجاء أوان الأخذ بثأرهم.

وبقي في هذه المسألة أن العرب في جزيرة العرب وما حولها، هم أنفسهم مسؤولون عن هذه النتيجة، وهم الوجه الآخر من العملة التي وجهُها الأول رؤوسُ الطوائف والإثنيات في بلاليص ستان.

وهؤلاء العرب شركاء مع الإمبراطوريات الماسونية في جريمة إسقاط عقيدة الأمة الواحدة وتفكيكِ بلاد الإسلام وإخراجِ الأقوام والشعوب غير العربية من دين الله أفواجاً، بتواطئهم مع هذه الإمبراطوريات وقَبولِهم أن يكونوا مطايا لها، والاشتراكِ معها في تحريف العربية والانتماء إليها، من المعنى الذي جاء به الوحي وعرفته الأمة في صدرها الأول إلى المعنى العرقي السلالي العنصري، من أجل الطعن في الدولة العثمانية، وثمناً لعروشهم التي صنعتها لهم الإمبراطوريات الماسونية وأقامتهم فيها.

والعربية في الوحي هي عربية اللسان واللغة والرسالة، وليست عربية العرق والدم والسلالة، فكل من نطق بالعربية وتكلم بها وأسهم بها وفيها فهو عربي، وبذلك دخل الناس في دين الله أفواجاً.

والنبي عليه الصلاة والسلام كان الصحابة من حوله فيهم العربي، وفيهم الفارسي والرومي والحبشي، وجميعهم عنده سواءٌ، وجميعهم أقرب إليه من أعمامه وعشيرته العربية القرشية التي كفرت به، والأقرب إليه من بينهم فبتقواه وعمله.

وهكذا كانت دول الإسلام كلُها، وسِعت غيرَ العرب من الشعوب واحتضنتهم وأشركتهم في بناء دولة الإسلام، وفي تشييد صرح علومه وعلوم العربية، حتى صاروا يرون أنفسهم عرباً، وكانوا أشد حميةً للإسلام ورعايةً للعربية من العرب أنفسهم.

وأئمة السنة جميعهم باستثناء الإمام أحمد، من غير العرب، وسيبويه إمامُ النحاة ورأسُ علوم العربية وعمدتُها من غير العرب، وقراء القرآن العشرة، باستثناء الإمام أبي عمرو البصري والإمام ابنِ عامر المشقي، من غير العرب، وكاتبُ مؤسسِ الدولة الأموية وأميرِ المؤمنين معاويةَ بنِ أبي سفيان، على الخراج والمسؤولُ عن مالية الدولة، هو سرَجون بنُ منصور الروميُ المسيحيُ، وفاتحُ الأندلس طارقُ بنُ زياد البربري، وشريكُ أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي، أولِ خلفاء بني العباس، في تأسيس الدولة العباسية، والمؤسسُ العسكريُ لها، أبو مسلمٍ الخراسانيُ.

طراز من الأمازيغ

تخليق الهوية الأمازيغية:

والآن إلى مسألة الأمازيغ، وقبل أي شيء لابد من التنبيه إلى أن كل ما سنقوله عن الأمازيغ يختص بطائفة أو طراز معين من الأمازيغ، وليس كلَ البربر، فجُل البربر مسلمون صالحون، ولا يوجد أيُ تناقض في عقولهم ونفوسهم بين كونهم مسلمين وبربر في الوقت نفسه، ويعرفون عن وعي أن الإسلام عقيدة ورسالة إلهية إلى البشر جميعاً، وليست ديانةَ العرب وحدهم، وأن العربية هي اللغة، وأن هذه اللغة التي نزل بها القرآن لازمة لكل من دان بالإسلام، وليس أنها مجرد لغة للجنس العربي، ويدركون أن الإسلام لا يفرض عليهم ولا على غيرهم أن يتنكروا لقومهم أو ينخلعوا منهم.

وحين دخل الناس في دين الله أفواجاً، وامتدت أمة الإسلام من المحيط إلى المحيط، ومن جنوب أوروبا إلى أواسط إفريقيا، كان فيها العرب والفرس والترك والكرد والهنود والأفارقة والبربر والأوروبيون، وكل منهم له خصائصُه الشكلية والجسمية وعاداتُه وأزياؤُه ولهجاتُه وما يميزه عن غيره من الشعوب، ولكن في إطار أنهم جميعاً أمة واحدة، عقيدتها واحدة، وكتابها واحد، ومنظومة قيمها وأخلاقها واحدة، وتشترك في من تواليه ومن تعاديه، ويحرصون جميعاً على معرفةِ اللغة العربية وتعلمِها كحرصِهم على لغاتهم ولهجاتهم التي ورثوها عن آبائهم، بل وأشدَ حرصاً، ويمكن لأي منهم إذا أراد أن يخرجَ من بلده وقومه وينزلَ في أي بلد من بلاد الإسلام، أو يقيمَ بين أي شعب من شعوبه كواحد منهم، ويصاهرَهم ويتزوجَ منهم.

وابن بطوطة البربري اللواتي خير مثال على ذلك، فقد خرج من طنجة في أقصى غرب بلاد الإسلام، بغرض الحج، فطاف بلاد الإسلام على أنه مسلم عربي اللسان، وعلى أن هذه البلادَ جميعَها بلاده، وفُتحت أمامه أبوابُها جميعاً، وأرسله ملك دلهي، محمد تغلق شاه، في أقصى الشرق من بلاد الإسلام، على رأس بَعثة سفيراً له إلى الصين، ونصَّبه ملك جزر دِيبة المَهَل/المالديف، عمرُ الأول، قاضياً على بلاده، وتزوج ابن بطوطة من دلهي وتزوج من ديبة المهل، وكانت له زوجة مغربية من فاس، وأخرى تونسية من القَيروان، كل ذلك دون أن يستوقفَه أحد أو يمنعَه قائلاً له: الأبواب موصدة أمامك، ولا تصلحُ لأن تعيشَ بيننا أو تتزوجَ منا، ولا لأن تكون سفيراً لنا وقاضياً بيننا لأنك من البربر.

وقد التقيت بأفاضل من البربر جاؤوا من الجزائر إلى مصر للدراسة في الأزهر، وأحدهم كان من قسنطينة وامتدت علاقتي به لفترة، وكنت أراه أسبوعياً عند فضيلة العلامة الشيخ عبد الباسط هاشم، رحمه الله، إذ كان يتردد عليه ليقرأ عليه القرآن ويأخذ عنه إجازة برواية حفص عن عاصم، وجميعهم كانوا يتكلمون العربية ويجتهدون في حفظ القرآن، وكانت لنا لقاءاتٌ جماعيةٌ متعددة مع آخرين من بلاد أخرى.

وحين تعارفنا وعرفوا أنفسهم بأنهم بربر أو أمازيغ لم يكن ذلك يعني بالنسبة لي ولا لهم ولا لأي أحد من أي بلد من بلاد الإسلام الأخرى، أن هذه الأمازيغيةَ هويةٌ منفصلة عن الإسلام أو نقيضةٌ له ولا يكون أحدهما إلا بإسقاط الآخر، ولا أنها حاجز بيننا، فلغتنا واحدة، وقيمنا وأخلاقنا هي هي، وأفكارنا وآراؤنا متقاربة، فكنا نتكلم ونتبادل الآراء عن أحوال بلاد الإسلام، ومنها مصر التي أنا منها، والجزائر التي هم منها، دون حرج ولا حواجز كالتي يجدها المرء حين يتكلم مع من يخالفونه في الديانة والعقيدة حتى لو كانوا من بلده، فلم تكن أمازيغيتُهم تعني أكثر من تعريف بالجهة التي

قدموا منها والقوم الذين ينتسبون إليهم، بالضبط مثل تعريف آخرين لأنفسهم بأنهم من الصعيد أو من الوجه البحري في مصر، أو من نيجيريا أو ماليزيا أو إندونيسيا أو تركيا.

فالآن إذا كنت قد فهمت الذي قرأتَه سابقاً ووعيتَه، فأول ما يجب أن تكون قد أدركتَه، أن مشكلة الأمازيغ، أو الطراز من الأمازيغ الذين نتكلم عنهم، ليست في الحقيقة مع عقبةَ بنِ نافع والفتوحاتِ الإسلامية وما كان فيها، بل مع الإسلام نفسه، وما يريدونه هو ما أخبرناك به، إخراجُ العرب من المغرب وشمال إفريقيا وإعادتُه إلى صورته التي كان عليها قبل أن يظهر الإسلام، وهي نفسُها غاية جميع الطوائف في بلاليص ستان بعد سقوط دولة الإسلام وحلول بلاليص ستان مكانها.

فإليك نموذجاً عجيباً ووقحاً من مصر، فالبربر أو الأمازيغ في مصر يتراوح عددهم بين عشرين ألفاً وثلاثين ألفاً، وينحصر وجودهم في واحة سيوة وقنا في الصعيد، وأمازيغ سيوة فئة منعزلة ويتكلمون الأمازيغية مع العربية، أما بربر الصعيد فيتكلمون العربية فقط، وصاهروا القبائل العربية، ولم يعد ثمة فرق بين هؤلاء وأولئك.

وفي سنة ٢٠١٣م، وإبان المناقشات التمهيدية لتعديل الدستور، عقدت لجنة الخمسين المكلفةُ بدراسة التعديلات الدستورية وطرحها للحوار، جلسة استماع لمقترحات الأمازيغ وقبائل الصحراء الغربية، وحضر الجلسة وفد من الأمازيغ، على رأسه أماني الوشاحي، المتحدث الرسمي باسم أمازيغ مصر، وهي أيضاً مستشار رئيس الكونجرس الأمازيغي العالمي، وكانت الاقتراحات التي طالبت بها، تخصيصَ عدد من المقاعد في البرلمان لأمازيغ سيوة، والنصَ على التعددية الثقافية والقومية

لمصر في الدستور، أي أن تكون بلا هوية محددة، وحذفَ كلمة العربية من اسم جمهورية مصر العربية!!

فمستشارة رئيس الكونجرس الأمازيغي العالمي، الذي سنعرفك به لاحقاً، تريد إلغاءَ هوية مصر العربية، ومائةِ مليون من أهلها، وقطعَهم عن العربية والإسلام، من أجل عشرين ألف أمازيغي، وهؤلاء الأمازيغ هم أنفسهم مسلمون صالحون، يصلون ويصومون، ويعلمون أبناءهم العربية والقرآن، وليس في وعيهم ولا من تطلعاتهم أن يكون لهم هوية أخرى منفصلة عن مصر وأهلها.

أما المقاعد التي تطالب بتخصيصها لأمازيغ سيوة، فلست بحاجة إلى أن نعرفك أنها لن تكون سوى مقاعد المجلس الأمازيغي العالمي في البرلمان المصري، وسوف تعرف وأنت تواصل المسيرة معنا الغاية الخبيئة والملفوفة في مطالب الكونجرس الأمازيغي العالمي.

وغاية جميع الطوائف والأقليات في الشرق ليست في حقيقتها سوى فرع من غاية إمبراطوريات الغرب الماسونية، التي هي في الحقيقة غايةٌ اليهود والصورة التي يريدونها للشرق لكي تتمدد الدولة البني إسرائيلية.

وجزء من استراتيجة الأمازيغ، توظيفُ ما ينتقونه ويقتلعونه من بطون الكتب عن عقبة بن نافع والفتوحات ليصلوا إلى ما يريدونه، وتمجيدُ من قاوموا هذا الفتح من الأمازيغ الوثنيين والمسيحيين واليهود والمجوس، وتحويلُهم إلى رموز للهُوية الأمازيغية وملهمين لأجيالهم الصاعدة.

وجزء آخرُ ومكملٌ لهذه الاستراتيجية إعادةُ كتابة تاريخ البربر بعد الفتوحات الإسلامية على أنهم أمة منفصلة عن الإسلام وتاريخه وأمته، وحذفُ كلِ ما يصلهم بغيرهم من شعوب الإسلام في هذا التاريخ، وبدلاً من تقديم البربر على أنهم شعب من شعوب الإسلام الذين دخلوا فيه، وامتزجوا داخل بوتقته مع غيرهم من الشعوب، وأسهموا في بناء دولته وحضارته، ولمع منهم في سماء هذه الحضارة ساسة عظام وقادة فحول وعلماء نوابغ وأدباء وشعراء ومؤرخون، بدلاً من ذلك يتم تزوير تاريخ البربر وتقديمهم على أنهم شعب منغلق منفصل له هويةٌ مختلفة عن هوية الإسلام وأمته، ولغةٌ أخرى وتاريخٌ آخر وغايةٌ أخرى، وتحالفاتٌ وارتباطات أخرى، وموقفٌ آخرُ من الغرب ومن اليهود ودولتهم.

وفي هذا التاريخ المزور يتحول طارق بن زياد وجيشُه الذي كان جُله من البربر، من قائد عظيم فتح الأندلس باسم الإسلام وألحقها بدولته، وتفخر بلدانُ الإسلام كلُها من مشرقها إلى مغربها ببطولته، وتسمي أبناءها على اسمه، وتدرس لهم سيرته، يتحول إلى قائد أمازيغي، وما فعله من أمجاد الجنس الأمازيغي، منفصلاً عن الإسلام ولا علاقة له به.

وابن بطوطة، ابن البربر الذي خرج من طنجة في أقصى غرب عالم الإسلام، فطاف بلادَ الإسلام كلَها، وصار سفيراً وقاضياً في أقصى شرقها، وتزوج من نسائها، ابن بطوطة هذا، الذي لم يرد على ذهنه أو على ذهن أحد في بلاد الإسلام التي طاف بها أن كونَه من البربر يعني أنه خارج عن أمة الإسلام، أو أن انتماءه للبربر يتناقض مع كونه مسلماً، وأمة الإسلام بكل شعوبها وبلدانها تفخر بانتسابه لها، وتضع رحلته في صدر مكتباتها على أنها من عيون ما أنتجته اللغة العربية وأمة الإسلام،

ابن بطوطة يتحول في التاريخ المزور الذي يقوم الأمازيغ ومن يستوطنون رؤوسهم بإعادة كتابته إلى رمز للهوية الأمازيغية المنفصلة عن أمة الإسلام وهويتها.

ويوسف بن تاشِفين الذي وحد قبائل البربر وكون بهم دولة المرابطين، ثم غزا بهم الأندلس، وسحق الإسبان باسم الإسلام وتحت راياته، وكانت راية دولته وجيشه: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وحين أخبر فقيهُ الأندلس محمد بن العربي وابنه أبو بكر، فقيهَ المشرق أبا حامد الغزالي، بحال الأندلس وما يفعله ملوك الطوائف، وبحال يوسف بن تاشفين وما هو عليه من الصلاح والعدل، أفتاهم أبو حامد الغزالي بالخروج ومن يتبعونهم على ملوك الطوائف العرب الخُلص، والانحيازِ إلى يوسف بن تاشِفين وقتالِ ملوك الطوائف معه، يوسف بن تاشفين هذا، الذي تضعه أمة الإسلام بين العظام من صناع دولها والفحول من ساستها وقادة جيوشها، مع خالد بن الوليد العربي وصلاح الدين الكردي وقطز التركي، وتتفاخر جميع بلدانها وشعوبها به، وتضع معركة الزلاقة التي قادها وسحق فيها الإسبان بين معارك اليرموك وحطين وعين جالوت، يوسف بن تاشِفين يتحول في التحريف الأمازيغي إلى رجل أمازيغي محلي كون دولة من الأمازيغ ومن أجلهم وفقط.

راية يوسف بن تاشفين ودولة المرابطين

في المعامل الفرنسية اليهودية:

وقد أخبرناك في كتابنا: اليهود والماسونية في المغرب، أن استنفارَ البربر، والعملَ على تكوين هويةٍ منفصلة لهم عن المسلمين عموماً، وعن العرب خصوصاً، وتربيتَهم على كراهية العرب والإسلام، هو استراتيجية فرنسا بعد أن احتلت بلدان المغرب العربي، وما يفعله الطراز المزور من الأمازيغ وما يقولونه هو ثمرة هذه الاستراتيجية.

وقد قامت حكومة الحماية الفرنسية على المغرب، بتكوين لجان ونظمت جلسات للتداول في مشروع إصدار ظهير يفصل البربر عن العرب والإسلام، ونص محضر اجتماع لجنة درس وتنظيم العدلية البربرية، المنعقد في ٨ أكتوبر سنة ١٩٢٤م، على أنه:

"ليس هناك من ضرر في تحطيم وحدة النظام العدلي في المِنطقة الفرنسية، وبما أن المقصودَ تقويةُ العنصر البربري، نظراً لدور الموازنة الذي يمكن أن تستدعيه الحاجة، فلا شك أن هناك فائدةً مؤكدةً من الناحية السياسية في هذا التحطيم"[١].

وفي النشرة التي أصدرتها دائرة المعارف في المغرب، في أغسطس سنة ١٩٢١م، بخصوص سياسة التعليم في مدارس البربر، يقول المسؤول عن الدائرة في حكومة الحماية الفرنسية، المسيو موريس لو جلاي Mauris Le Glay:

---

١) المؤرخ المغربي علال الفاسي: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص١٦٢، مؤسسة علال الفاسي، الطبعة السادسة، الدار البيضاء، ٢٠٠٣م.

"يجب أن نحذف تعليم الديانة الإسلامية واللغة العربية في مدارس البربر، وأن تُكتب اللهجات البربريةُ بحروف لاتينية، إذ يجب انعمل على تعليم البربر كلَ شيء ما عدا ما يخص الإسلام"[1].

وفي الدراسة التي قدمها، جودِفروا دُمُونبين Gaudefroy Demombynes، إلى حكومة الحماية الفرنسية، بخصوص التعليم في المغرب، أنه:

"من الخطر أن نترك كتلة ملتحمة من المغاربة تتكون ولغتها واحدة وأنظمتها واحدة، إن وجود العنصر البربري آلة مفيدة لموازنة العنصر العربي، ويجب أن تقومَ اللغةُ الفرنسية، وليس البربريةَ، مقامَ اللغة العربية، كلغةٍ مشتركة، وكلغة المدنية، ويالنسب للمعلمين، فيجب عليهم ألا يستعملوا بأي حال من الأحوال اللغة العربية، ولو في أوائل الدراسة، ويمكن للمعلم إن كان يعرف البربرية أن يستعملها لتفهيم التلاميذ"[2].

وأسفرت لجان حكومة الحماية الفرنسية، عن إصدار الظهير البربري، الذي أخرج البربر من الإسلام، ووضع لهم قانوناً ونظاماً قضائياً منفصلاً عن العرب في المغرب، وقد أتيناك بنص الظهير البربري في كتابنا: اليهود والماسونية في المغرب، وكان عنوانه الكامل:

---

١) الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص١٦٣

٢) الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص١٦٢-١٦٣.

"ظهيرُ السابعَ عشرَ من ذي الحجة سنة ١٣٤٨هـ/١٦ مايو ١٩٣٠م، المنظمُ لسير شؤون العدلية في القبائل ذات العوائد البربرية التي لا توجد فيها محاكمُ مكلفة بتطبيق القواعد الشرعية"[١].

Dahir Du 17 Hija 1348 (16 Mai 1930) Réglant Le Fonctionnement De La Justice Dans Les Tribus De Coutume Berbère Non Pourvues De Mahakmas Pour L'Application Du Chrâa.

وقبل ذلك، في ٩ يناير سنة ١٩١٥م، بعد ثلاث سنوات فقط من احتلال المغرب، كان المقيم الفرنسي العام، الجنرال ليوتي، قد قام بتكوين لجنة للدراسات البربرية، من أجل إجراء بحوث عن معتقدات القبائل البربرية وحياتها وعوائدها، لتوظيفِها في وضع سياسةٍ للتعامل معها، تضمن فصلَها عن العرب، وولاءَها لفرنسا، وجاء في منشور تأسيس اللجنة الذي أصدره الجنرال ليوتي، أنه:

"تم تأسيس لجنة الدراسات البربرية بالرباط، من أجل تجميع البحوث التي يتم إجراؤها حول قبائل البربر في المغرب، واستخراجِ نتائجَ عمليةٍ منها تتعلق بتنظيم هذه القبائل وإدارتها"[٢].

---

١) ظهير شريف يصبح بموجبه قانونياً مطابقاً للأصول المرعية سير شؤون العدلية الحالي في القبائل ذات العوائد البربرية التي لا توجد فيها محاكم مكلفة بتطبيق القواعد الشرعية، الجريدة الرسمية، المغرب، ٨ محرم ١٣٤٩هـ/٦يونيو ١٩٣٠م.

٢) الأستاذ محمد المكي الناصري، مندوب المغرب في المؤتمر الإسلامي العام: فرنسا وسياستها البربرية في المغرب الأقصى، تقرير مقدم إلى المؤتمر الإسلامي العام من اللجنة الشرقية للدفاع عن المغرب، ص٢٩، طبع بشركة بابل، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.

ووضع الجنرال ليوتي اللجنة تحت إشرافه المباشر، وجعل مقرها في القصر الذي يقيم فيه، وتتكون من الكاتب الرسمي لحكومة الحماية الفرنسية، وهو رئيسُها، ومعه رئيسُ إدارة الاستخبارات، ورئيسُ المكتب الحربي، ورئيسُ إدارة التعليم، ورئيسُ إدارة الأوقاف، ومديرُ مدرسة اللهجات البربرية، التي أنشأها ليوتي سنة ١٩١٣م.

وبدأت اللجنة منذ تأسيسها سنة ١٩١٥م، في إصدار مجلة المحفوظات البربرية، لنشرِ ما يتم إنجازُه من بحوث ودراسات عن البربر، وإمدادِ حكومة الحماية الفرنسية بها.

وبعد أن أتم الاحتلال الفرنسي علمنة بلدان المغرب العربي وصناعتها بالعقيدة القومية، وألحقها بأخواتها في بلاليص ستان، رحل وقد وضع مقاليدها في أيدي عملائه وخلفائه ومن يستلهمونه، لكي يتبعوه ويسيروا بها خلفه، وهم يوهمون شعوبهم بالاستقلال.

وفي سنة ١٩٦٦م ظهرت ثمار سياسات الاحتلال الفرنسي في البربر، ونبتت أجيال الأمازيغ التي صنعها على عينه، إذ أسس مجموعة من أمازيغ الجزائر، يتزعمهم مُحند أراف بِسعود، الأكاديمية البربرية L’Académie Berbère، ثم غيروا اسمها سنة ١٩٦٧م إلى أجراو إيمازيغن Agraw Imaziɣen، أو جمعية الأمازيغ، وقاموا بتصميم علم للأمازيغ، وبوضع أبجدية أمازيغية، أخذوها من اللهجات المحلية لقبائل البربر في الجزائر والمغرب، وكتبوها بخط التيفيناغ Tifinagh، وهو الكتابة الليبية القديمة، وأصدروا صحيفة بهذا الخط، اسمها إيمازيغن Imazighen، وظلت تصدر إلى أن تم حل الأكاديمية أو الجمعية سنة ١٩٧٨م.

ونحسب أنك لست بحاجة إلى أن نخبرك أن الأكاديمية تم تأسيسها في فرنسا، وأن مقرها كان في باريس.



علم الأمازيغ الذي صممته الأكاديمية البربرية

ونسينا أن نخبرك، أن فرنسياً اشترك مع مُحند أراف بسعود، في تأسيس الأكاديمية البربرية، وكان تأسيسها تحت رعايته، وبالتسهيلات التي قدمها لها بنفوذه، إذ كان المسؤولَ عن قسم إفريقيا الفرانكوفونية وملفاتها في الحكومة الفرنسية L'Afrique Francophone.

والفرنسي الذي كان شريك مُحند أراف بسعود في تخليق الهوية الأمازيغية، وتأسيس الأكاديمية البربرية، وكان تأسيسها ونشاطها تحت رعايته وبنفوذه، هو اليهودي جاك بينيه Jacques Bénet، فإليك مُحند أراف بسعود نفسه يخبرك بموقع جاك بينيه منه ومن فكرة الهوية الأمازيغية والأكاديمية البربرية في افتتاحية كتابه: أشخاص متواضعون من أجل قضية كبيرة، أو تاريخ الأكاديمية البربرية De Petites Gens

،Pour Une Grande Cause, Ou L'Histoire de L'Academie Berbere الذي صدر بالفرنسية سنة ٢٠٠٠م:

"إذا تذكرني إخوتي من البربر يوماً ما، وأرادوا تكريم اسمي، فإني أرجو منهم أن يقرنوه باسم جاك بينيه Je Leur Demanderais Instamment de Lui Associer Celui de Jacques Bénet، لأنه من غير مساعدة هذا الصديق الكبير للبربر، ما كانت لتنجح جهودي من أجل الهوية البربرية، لذا من الإنصاف أن يُذكر اسم مُحند أراف بسعود مقروناً باسم جاك بينيه"(١).

ونعلمُ أنك لا ريب قد أدركت في ضوء ما قرأته حتى الآن، علاقةَ تخليق الهوية الأمازيغية، وتأسيس الأكاديمية البربرية، بالمشروع اليهودي في الشرق وبلاد الإسلام، وموقعها منه.

فإليك ما توقن منه أن الهوية واللغة الأمازيغية، ليست سوى اختلاق، وتم تصنيعهما في القرن العشرين في المعامل الفرنسية اليهودية المشتركة، ولم يكن لهما وجود من قبل.

يقول المؤرخ والأنثروبولوجي الفرنسي جابرييل كومب Gabriel Camps، وهو من أشد المؤرخين الفرنسيين تعصباً للبربر، وأن يكون لهم هوية مستقلة منفصلة عن العرب والإسلام، في كتابه: البربر ذاكرة وهوية Les Berbères: Mémoire et Identité، الذي صدر سنة ٢٠٠٧م:

---

1) Mohanad Aarav Bessaoud: De Petites Gens Pour Une Grande Cause, Ou L'Histoire de L'Academie Berbere, Hommage, Imprimerie de l'Artisan, Alger, 2000.

"والواقع أنه لا توجد اليوم لغة بربرية، بمعنى أن تكون هذه اللغة انعكاساً لجماعة بشرية واعية بوحدتها، كما لا يوجد شعب بربري، ومع ذلك فالبربر موجودون ... ولا يبدو أن البربر حصل عندهم الوعي في أي مرحلة من تاريخهم الطويل بأنهم يشكلون وحدة عرقية ولغوية"[١].

والآن نريد أن نسألك سؤالاً: في القرن الخامس الميلادي تحركت قبائل الفرانكا الجرمانية من شمال أوروبا ووسطها شرق نهر الراين، إلى غربها وغرب نهر الراين، وتوطنت في غالة Gaul، ومع الوقت سيطرت قبائل الفرانكا على غالة، وحلت لغتها محل السلتية Celtes، لغة شعب الغال، وتحول اسم غالة إلى فرنسا، وتقهقر شعب الغال نفسه أمامها، وانحصر وجوده في شريط في أقصى غرب فرنسا وشبه جزيرة إيبيريا، على المحيط الأطلنطي، ومن اسمه جاء اسم البرتغال.

والسؤال الذي نريدك أن نسألك إياه هو: كم نسبة احتمال أن توافق فرنسا على منح ترخيص لنشطاء من أحفاد شعب غالة القديم، بإقامة أكاديميةٍ هدفُها وبرنامجها إحياءُ لغة الغال وكتابتُها وإحلالها محل اللغة الفرنسية؟

وفي سنة ١٩٩٥م، وفي مؤتمر انعقد في سان روم دو دولون Saint Rome de Dolan، في فرنسا، وحضره ناشطون أمازيغ من بلدان المغرب العربي، ومن أوروبا، تم تأسيس الكونجرس الأمازيغي العالمي Congrès Mondial Amazigh، وانتُخب المحامي المغربي حسن إد بلقاسم أول رئيس له، وبالطبع صارت باريس مقراً له، وأعلن في بيان تأسيسه الرسمي، أن هدفَه الدفاعُ عن حقوق الأمازيغ السياسية

---

١) المؤرخ الفرنسي جابرييل كومب: البربر ذاكرة وهوية، ص٤٤-٤٩,٤٥، ترجمة: عبد الرحيم حزل، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١٤م.

والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وبعث التراث الأمازيغي، والسعي إلى النص على هوية الأمازيغ وعلى أن الأمازيغية لغة رسمية في دساتير دول المغرب.

أما بعيداً عن البيانات الرسمية، فمؤسس الكونجرس ورئيسه الأول حسن بلقاسم لا يخفي، بل يصرح علانية في مؤتمراته ولقاءاته، أن هدفه وهدفَ الكونجرس الأمازيغي العالمي هو الوصولُ إلى إقامة تمزغا الكبرى.

وفي يوم ٢٥ يناير سنة ٢٠١٨م، نشر موقع أصوات مغاربية، الذي يموله الكونجرس الأمريكي والوكالة الأمريكية للإعلام الدولي USAGM، ويتبع شبكة الشرق الأوسط للإرسال MBN، وهي الشبكة الأمريكية التي تدير قناة الحرة وراديو سوا، نشر الموقع حواراً مع حسن بلقاسم، قال فيه:

"**حلم تَمزغا الكبرى لم نتخل عنه ولم يمت، الحلم متواصل ونسعى إلى تحقيقه بالتدرج، وذلك من خلال نشر الديمقراطية بهذه المناطق، وتأسيس فيدراليات أمازيغية بمنطقة شمال أفريقيا، والعيش المشترك مع مكونات مجتمعية أخرى**"(١).

فتنبه أولاً أن الديمقراطية التي يرفعون راياتها ويطالبون بها، مثل جميع الطوائف والأقليات في بلاد الإسلام، ليست سوى غِلاف لأهداف أخرى، وأن هدفهم القريب فصلُ مناطق البربر في كل بلد من بلدان المغرب عنها، وتحويلُها إلى فيدرالية شبه مستقلة، وأن إحدى وسائلهم التنسيقُ والعيشُ المشترك مع مكونات مجتمعية معينة، وليس مع جميع مكونات المجتمع، وإذا أراد الله عز وجل سوف نعرفك في دراسة لاحقة أن هذه المكونات المجتمعية المعينة ليست سوى اليهود.

---

١) موقع أصوات مغاربية: مؤسس الكونغرس الأمازيغي: حلم تمزغا الكبرى لم يمت، ٢٥ يناير ٢٠١٨م.

أما تَمَزغا الكبرى Tamazɣa، فهي كلمة صاغتها الأكاديمية البربرية في باريس، وتعرفها بأنها:

"أرض الأمازيغ في شمال إفريقيا، التي تمتد من سيوة في مصر شرقاً إلى جزر الكناري غرباً، ومن سواحل البحر المتوسط شمالاً حتى نهر السنغال جنوباً"[١].

وعلى ذلك، فتَمَزغا الكبرى التي يهدف الكونجرس الأمازيغي إلى إقامتها، تعني إسقاطَ جميع الدول العربية في شمال إفريقيا، بما فيها مصر، بالإضافة إلى موريتانيا ومالي والنيجر، وإحلال دولة الأمازيغ الكبرى محلها جميعاً.

فالآن نريدك أن تعود صفحات إلى الخلف، ومعك تَمَزغا الكبرى، وسوف تدرك الغاية الخبيئة في بطن المطالبِ التي طلبتها أماني الوشاحي، مستشارة رئيس الكونجرس الأمازيغي العالمي، باسم أمازيغ سيوة، والمعنى الحقيقي للتعديلات التي اقترحتها بخصوصهم في دستور مصر وبرلمانها.



تَمزغا الكبرى

---

1) Wikipédia, L'LEcyclopédie Libre: Tamazgha.
https://fr.wikipedia.org/wiki/Tamazgha

الطريقة الوحيدة لجعلهم فرنسيين هي أن يصبحوا مسيحيين:

وبقي من كيف تم صناعة الطراز من الأمازيغ الذي نكلمك عنه، أن تعلم أن إحدى استراتيجياتِ حكومة الحماية الفرنسية على المغرب، لكي تفصلَ الأمازيغ عن العرب، وتضمنَ ولاءهم المستديمَ لفرنسا، إلى جانب توظيف المدارس والتعليم في عزلهم عن اللغة العربية وعن كل ما يتصل بالإسلام، كانت العملَ على تنصيرهم، عبر الإفساح للإرساليات التبشيرية والسماحِ لها بتأسيس مقرات في مناطق البربر، ورعايتِها وتمويلها، عملاً باستراتيجية الأب شارل دي فوكو Charles de Foucauld وتنفيذاً لوصيته، رغم أن فرنسا نفسَها كانت في ذروة علمانيتها، والماسونيةَ تسيطر على ساستها وسياساتها وجميع مناحي الحياة العامة فيها.

والأب شارل فوكو كان ضابطاً في سلاح الفرسان في الجيش الفرنسي، في الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي، ثم تقاعد من الجيش، وهو في الخامسة والعشرين من عمره، ليتفرغ للترحال والاستكشاف، وفي سنة ١٨٨٣م، قرر استكشاف المغرب، ولم تكن فرنسا قد احتلتها بعدُ، فإليك شارل فوكو نفسه يصف لك استعداداته لدخول المغرب، وكيف دخلها:

"لم يكن في استطاعة الأوروبيين دخولُ المغرب والتجولُ بأمان، إلا متنكرين، وحتى في هذه الحالة لم يكونوا آمنين على حياتهم، إذ كان يُنظر إليهم على أنهم جواسيس، وإذا اكتُشف أنهم أوروبيون يكون مصيرُهم القتل، فذهبت إلى الجزائر، ونزلت في بيت الربي مردخاي Mardochee، وتعرفت بزوجته وأولاده، وارتديت زياً يهودياً يجعلني أبدو مثل يهود الجزائر وسوريا، وارتدى مردخاي زياً مثله، ورحلنا إلى طنجة، وكان اسمي الربي جوزيف أليمان Joseph Aleman، وكنت أقدم

نفسي طوال الرحلة في المغرب، على أني يهودي من موسكو، وتركتها فراراً من الاضطهاد، وصرت أتنقل من بلد إلى بلد واثقاً في الرب، فذهبت أولاً إلى أورشليم، ثم جئت إلى شمال إفريقيا لأتفقد أحوال إخوتي، واتفقت مع مردخاي أنه سيقدمني عند الضرورة على أني ابنه"[١].

وأنهى شارل فوكو رجلته إلى المغرب، بتأليف كتاب عنوانه: استكشافُ المغرب Reconnaissance au Maroc، وحصل به على عضوية الجمعية الجغرافية الفرنسية.

وفي سنة ١٨٩٠م انضم شارل فوكو إلى الرهبان السِسترسيان Cistercien، في فرنسا، وصار راهباً، وفي سنة ١٩٠١م تم رسمه قسيساً، وعاد بعدها إلى الجزائر، فنزل في حراسة الجنود الفرنسيين في بلدة بني عباس، جنوبَ غرب الجزائر، وأقام له الجنود الفرنسيون كنيسة صغيرة، سماها الأخوية Fraternité، وكان يقول عن نفسه إنه أخ عالمي لجميع البشر Le Frère Universel.

وفي سنة ١٩٠٤م انتقل شارل فوكو إلى تمنغست، واسمها الحالي تَمنرَست، وتقع جنوب الجزائر، في مرتفعات الهُجار، وهي بلاد الطوارق ومعقلُهم، فأقام في حصن صغير تابع للجيش الفرنسي في الجزائر، وعاش اثنتي عشرة سنة بين الطوارق، وهم فرع من البربر، وألف عدة كتب في تاريخهم وعاداتهم ولهجاتهم، وظل في تمنغست إلى أن قُتل سنة ١٩١٦م، إبان الحرب العالمية الأولى، إذ توغل المجاهدون السنوسيون من ليبيا في الصحراء جنوب الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي، وأرشدهم

---

1) René Bazin: Charles de Foucauld, Explorateur du Maroc, Ermite au Sahara, P21-22, Librairie Plon, Paris, 1921.

الطوارق إلى مكان الحصن الصغير الذي يقيم به شارل فوكو، فوصلوا إليه وأطلقوا عليه الرصاص.

وكان من أواخر ما كتبه دي فوكو في يومياته، رسالته التي أرسلها في ١١ أبريل سنة ١٩١٦م، إلى الجنرال فرانسوا لابرين François Laperrine، قائد حصن موتيلينسكي Motylinski الفرنسي في الجزائر، والحاكم العسكري لها، ونشر نصها صديقه وكاتب سيرته، المؤرخ الفرنسي رينيه بازان René Bazin، في كتابه: شارل دي فوكو مستكشف المغرب وراهب الصحراء Charles de Foucauld, Explorateur du Maroc, Ermite au Sahara.

فهاك نص رسالة دي فوكو إلى الجنرال فرانسوا لابرين:

"في بداية شهر مارس، قام أكثر من ألف من السنوسيين بغزو حصن جانِت Djanet، على التخوم مع تريبوليتانيا/ليبيا، بالمدافع والبنادق، وحاصروه ثمانية عشر يوماً، وتمكنوا من اقتحامه، فاستسلمت الحامية بقيادة القائد لابيير Lapierre، بعد أن أصيبوا جميعاً، وقد صار الطريق مفتوحاً أمام السنوسيين إلى هنا، ولا أعني بذلك تَمنرَست فقط، ولكن أيضاً حصن موتيلينسكي، عاصمة البلد، الذي لا يبعد عن تَمنرَست سوى ثلاثين ميلاً، وإذا هاجمونا فلا يمكن لشئ أن يوقفهم، وسوف نصبح جميعاً بين يدي الرب، ونصيحتي هي أن نحمل المؤن والعتاد وننسحب إلى مكان حصين وفير بالمياه في الجبال"[١].

---

1) Charles de Foucauld, Explorateur du Maroc, Ermite au Sahara, P436.

والسنوسيون كانوا يبحثون عن القَس شارل فوكو حتى عثروا عليه وقتلوه، لأنه كما لابد أدركت، لم يكن سوى جاسوس، وهو ما جئناك بسيرته من أجله، لتدرك أبعاد الاستراتيجية التي رسمها لفرنسا، لكي تتمكن من السيطرة على شمال إفريقيا.

واستراتيجية شارل فوكو ووصيتُه لفرنسا، كما دونها في رسالة أرسلها سنة ١٩١٢م إلى صديقه الدوق فيتز جيمس Fitz James، ونقلها رينيه بازان، هي:

"الإمبراطورية الفرنسية في شمال غرب إفريقيا، في الجزائر والمغرب وتونس وغرب إفريقيا الفرنسية، يبلغ عدد سكانها ثلاثين مليوناً، وسيتضاعفون بعد خمسين سنة، وحينها سيكون قد تم تقدمهم، وصاروا أغنياء، ووصلت بلادَهم السككُ الحديدية، وتعودوا على استخدام الأسلحة الحديثة، ونخبتهم تلقت تعليمها في مدارسنا، وإذا لم نجعل هؤلاء الشعوب فرنسيين فسيقومون بطردنا، والطريقة الوحيدة لجعلهم فرنسيين هي أن يصبحوا مسيحيين Le Seul Moyen Qu'ils Deviennent Français est Qu'ils Deviennent Chrétiens"[١].

وبعد احتلال فرنسا للمغرب، سنة ١٩١٢م، وقبلها في تونس والجزائر، طبقت حكومة الحماية الفرنسية استراتيجيةَ شارل فوكو ووصيتَه بحذافيرها، فتقاطر المبشرون وإرسالياتُهم على بلدان المغرب، وهم يحلمون بتحويل مناطق البربر إلى لبنان إفريقيا.

وفي سنة ١٩٢١م، بعد الاحتلال الفرنسي بتسع سنوات فقط، كان يوجد في المغرب ثلاثون مركزاً للتبشير، كلها تعمل في مناطق البربر، بعد أن منحتهم حكومة الحمايةِ الفرنسية تراخيص بإقامة مدارسَ ودورِ أيتام وجمعياتٍ لعلاج البربر وتحسين أحوالهم، لتكون وسائلَ إغرائهم بالتحول إلى المسيحية.

---

1) Charles de Foucauld, Explorateur du Maroc, Ermite au Sahara, P444.

فالآن نريدك أن تدرك ولا تنسى أن هؤلاء الأمازيغ الذين أنتجتهم سياساتُ الاحتلال الفرنسي وقوانينُه ونظامهُ التعليمي ومدارسُه وإرسالياتُه التبشيرية، هم الطراز الذي نتكلم عنه ونتعامل معه من البربر.

مشكلة المصادر

وأول تدليس يدلسه الأمازيغ في ما يروجونه عن عقبةَ بن نافعٍ والفتحِ الإسلامي لشمال إفريقيا، هو ما يختص بالمصادر.

فالطراز المزور من الأمازيغ، ومن أجل الوصول إلى غايتهم التي تعلمها الآن، يروجون فيما يؤلفونه من كتب، وما يكتبونه من مقالات، وما يقولونه في الإنترنت ويوحهونه، كشأن زعماء جميع الطوا ئف والإثنيات، إلى البقر من أتباعهم، متكئين على أنهم جهال وسيتبعونهم مستكينين وهم يمضغون البرسيم، الطراز المزور من الأمازيغ يروجون أن الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا كان مجازر ومذابح، ويقيمون على ذلك مآتم وعويلاً لا ينقطع، بينما لا يوجد بين أيديهم مصدرٌ أمازيغيٌّ واحد يختص بفترة الفتوحات الإسلامية أو يروي وقائعها وما حدث فيها!!

فسل نفسك، وليسأل العقلاء من البربر أنفسهم، حين يتخذ طرفٌ موقفاً من آخر، هل يوجد عنده وبين يديه ما يجعله يتخذ هذا الموقف، أم أنه يتخذ موقفه أولاً ثم يبحث له عما يبرره عند غيره، عدواً كان أو صديقاً؟!

وإذا كان الأمازيغ ليس لهم مصادر خاصة بهم يعرفون بها ملابساتَ الفتح الإسلامي وحوادثَه، فمن الذي وفر لهم ودق المصادر الأخرى في رؤوسهم وشحن بها نفوسهم.

ثم لا تغفل قبل ذلك عن أن عدم وجود مؤرخ ولا مصدر أمازيغي واحد يوثقُ للفتح الإسلامي لبلاد البربر أو يسجل وقائعه، يغنيك عن أي بيان في معرفة حالة قبائل البربر وبلادهم حين وصل إليها الإسلام والمسلمون، فلا دولة ولا حكومة ولا نظاماً

عاماً، ولا علم ولا معرفة، ولا قراءة ولا كُتب ولا كتابة، ولا مؤرخين ولا أدباء ولا شعراء ولا خطباء، ولا أيَ شيء على الإطلاق ينتمي للمدنية أو الحضارة.

ومع انعدام المصادر الأمازيغية التي تؤرخ للفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، فالمصادر الأخرى تنحصر بين المصادر الإسلامية العربية، والمصادر الرومانية الفرنجية الغربية، والفتح الإسلامي لشمال إفريقيا كان، كما ستعلم، حلقةً في سلسلة المواجهات بين دولة الإسلام والدولة البيزنطية، لا أنه كان مواجهةً خالصة بين دولة الإسلام والبربر كما يروج المزورون من الأمازيغ وهم يخاطبون أتباعهم من أكلة البرسيم.

وبين المصادر الإسلامية العربية والمصادر الرومانية والغربية حرب على التاريخ والوعي، وهي حرب خالدة وباقية وامتداد للحرب التي كانت في جبهات الشرق وميادينه وبحاره، وقد اختار المزورون من الأمازيغ الاصطفاف مع المصادر الغربية وروايتها للأحداث وتفسيرها لها، والروايات الرومانية عن الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا هي نفسُها شحيحة وغير مفصلة، لأن الإمبراطورية في الشرق كانت تتفكك وتنهار أمام المد الإسلامي، وتنسحب من الشرق خطوة في إثر خطوة أمام هذا المد، من شواطئ المتوسط الجنوبية إلى شواطئه الشمالية.

يقول المؤرخ الفرنسي وأستاذ التاريخ في جامعة السوربون شارل أندريه جوليان Charles André Julien، في كتابه: تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس والجزائر والمغرب Histoire de L'Afrique du Nord: Tunisie, Algérie, Maroc، عن مصادر الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا:

"ولا توجد وثائقُ مكتوبة، ولا تقارير كتبها رحالة أجانب، ولا أخبارٌ أوروبية، ولسد الفجوة الناشئة عن قلة النقوش، وشح النقود، وانعدام النصوص، فلا مفر من اللجوء إلى الإخباريين العرب Chronique Arabes الذين عاشوا بعد الأحداث التي تعنينا بأمد طويل"(١)، (٢).

والمصادر العربية الإسلامية لفتح شمال إفريقيا كتب بعضَها المؤرخون الإخباريون المسلمون، وهؤلاء منهجهم، كما نص عليه عميدُ المؤرخين الإسلاميين الإمامُ الطبري، نقلُ كلِ ما يصلهم من الروايات والأخبار في أي واقعة أو حادثة منسوبة إلى راويها ومصدرها، وهذا المنهج يتسم بالأمانة في نقل الروايات وتدوينها، ولكن يعيبه عدمُ نقد الروايات ولا تمحيصُها ولا مضاهاتُها والانتباهُ لما فيها من غرائبَ أو تناقضٍ بين رواية وأخرى، فالمؤرخ في هذا المنهج يجمع كل ما يصله معاً ويسجله منسوباً إلى مصادره تحت باب أو عنوان واحد، وفقط.

والبعض الآخر من الكتب العربية والإسلامية التي تصف حوادث فتح شمال إفريقيا لا عَلاقة لها بالتاريخ أصلاً، بل هي مؤلفات كتبها أدباء أو وعاظ، يجمعون ما كتبه غيرهم ويدونونه في كتبهم من باب شمولها لكل شيء، ثم يتوسعون في الوصف والتفخيم واستعراض مهاراتهم اللغوية والبيانية، بإنشاء العبارات البليغة وتفريع القَصص والحكايات دون سند ولا دليل.

---

1) Charles André Julien: Histoire de L'Afrique du Nord: Tunisie, Algérie, Maroc de la Conquête Arabe à 1830, p314, Payot, Paris, 1931.

٢) المؤرخ الفرنسي شارل أندريه جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة ١٨٣٠م، ج٢، ص١٣، تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٣م.

في كتابه: دراسات ومؤتمرات Articles Et Conferences، يقول المستشرق الفرنسي، وأستاذ التاريخ واللغات الشرقية في الكوليج دي فرانس Collège de France، وليام مارسيه William Marçais، وهو متخصص في تاريخ البربر ولهجاتهم، وعاش شطراً من حياته مشرفاً على التعليم في تونس والجزائر تحت الاحتلال الفرنسي، يقول عن المصادر العربية لفتح شمال إفريقيا:

"المعطياتُ القليلة المتعلقة بهذه الفترة مستقاةٌ من روايات أربع، روايةٌ مشرقية كتبها الواقدي الذي عاش في المدينة وبغدادَ في نهاية القرن الثامن، ورواية إسبانية يمثلها أحد أحفاد الفاتح موسى بنِ نصير، الذي عاش بالأندلس في أواخر القرن الثامن، ورواية إفريقية منسوبة إلى أحد أحفاد فاتح آخر، وهو أبو المهاجر، وقد عاش بالقَيروان في نفس الفترة، وأخيراً روايةٌ لابن عبد الحكم المتوفى بالقاهرة سنة ٨٧١م، وهي الرواية الوحيدة التي وصلتنا مباشرة، لقد دون ابنُ عبد الحكم ما نقله في مصر من روايات على الطريقة التي كان ينقل بها الرواة أحاديث الرسول محمد، فالمؤلف يذكر سلسلة الأخبار التي أمكن له جمعها، ويُسندها إلى أصحابها واحداً عن واحد، إلى أن يصل إلى آخر حلقة، أي إلى الرجل الذي شهد أو كان في وُسعه أن يشهد الأحداثَ المعنية بالأمر ... وابنُ خَلدون هو الوحيد الذي لا يكتفي بحرية كبيرة في الحكم ولا يتسم بالروح النقدية فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى ضرورة الفهم والتفسير Mais Encore Le Besoin de Recomprendre et D'Expliquer، غير أن ما نقله عن الفتح جاء للأسف متأخراً عن الأحداث بسبعة قرون، والذي يبعث فينا الحَيرة كذلك عندما نعتمد ابنَ خلدون والمؤرخين الذين عاشوا بين القرن الحادي عشر والقرن الخامس عشر، مثلَ المالكي وابنِ الأثير وابنِ عذارِي والنويري، هو غزارةٌ في التفاصيل تتناقض مع الاقتضاب الذي

يُلاحظ في روايات الإخباريين الذين عاشوا بين القرن الثامن والقرن التاسع، مثل ابنِ عبد الحكم والبلاذُري، ودون ذكر مصادر أخرى غير هؤلاء الإخباريين الأوائل، ولذا يمكن أن نعزوَ هذه الغزارة في التفاصيل إلى تطور في البراعة الأدبية، وليس إلى ظهور مصادر جديدة"(١)، (٢).

وكلام المستشرق والمؤرخ الفرنسي وليام مارسيه، الخبيرِ في تاريخ البربر، كما ترى، يؤكد لك أنه لا توجد مصادرُ أمازيغية تؤرخ لفتح شمال إفريقيا ووقائعِه، بل ولا مصادرَ بيزنطية، وتعرفُ منه أن مصادر الفتح الوحيدة هي المصادر العربية، ومن بين المصادر العربية التي بقيت ووصلتنا، فإن كتاب: فتوحُ مصر والمغرب لابن عبد الحكم هو أوثق هذه المصادر، وأكثرُها توثيقاً وضبطاً، وأقربُها للفتح، وهو يعود بسلسلة رواته إلى من شهدوا الفتح أو عاصروه.

ثم يأتي بعد ابن عبد الحكم، تاريخُ ابن خَلدون رغم تأخره في الزمن، لما يتسم به من روح نقدية، ولسَعةِ معارفه وتعددِ مصادره وشمولِها للمصادر العربية المكتوبة ومصادر البربر الشفهية، ولسبب آخر لا يصرح به المؤرخون الغربيون، وهو أن ابنَ خلدون مسلم وأمين في نقله للأخبار، إلا أنه في عباراته عن الفتح الإسلامي، وفي تاريخه عموماً، يبدو متعاطفاً مع البربر.

وتفسير ذلك، أن ابن خلدون كان يعيش بين البربر، وطاف ببلادهم كلِها، وكان ينزل ضيفاً على عشائرهم لفترات طويلة، وكتب تاريخَه في قلعة بني سلامة في

---

1) Histoire de L'Afrique du Nord: Tunisie, Algérie, Maroc de la Conquête Arabe à 1830, p314-315.

٢) تاريخ إفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة ١٨٣٠م، ج٢، ص١٣-١٥.

تاوغَزُوت، ومكانُها قرب مدينة تاهِرت الحالية، شمالَ غرب الجزائر، وبنو سلامة الذين نزل ابن خلدون ضيفاً على قلعتهم بضع سنوات، وألف تاريخه فيها، بربر من بني توجين، وهم فرع من زناتة.

وما بعد ذلك من مصادرَ لفتح شمال إفريقيا، فبينها وبين الفتح وحوادثه ستةُ قرون على الأقل، وما في هذه المصادر المتأخرةِ من تفاصيل لا وجود لها عند المؤرخين الأوائل، فلا علاقة له بالتاريخ، وهو من قبيل الصَنعة الأدبية.

وبخصوص شهاب الدين النويري تحديداً، وكتابِه: نهايةُ الأرب في فنون الأدب، يقول المؤرخ الفرنسي موريس كوديل Maurice Caudel، في كتابه: غزوات العرب الأولى لشمال إفريقيا Les Premières Invasions Arabes Dans L’Afrique du Nord:

"**والنويري يخلط روايتَه للأحداث بالقَصص والحكايات، وأغلبها ذو طابع أسطوري Légendaire**"[١].

والطراز المزور من الأمازيغ لا يبحثون عن الحق ولا يعنيهم ما حدث فعلاً، وكل ما يفعلونه أنهم ينقبون في كتب التاريخ العربية من أجل التقاط أي رواية أو عبارة يغلفون فيها ما دقه في رؤوسهم أحفادُ الفرنجة، فإذا لم يجدوا الغِلاف الذي ينقبون عنه في كتب التاريخ، تركوها واتجهوا إلى الكتب التي وضعها مؤلفوها في فنون الأدب، ليقتنصوا منها عباراتٍ إنشائيةً بلاغيةً، ثم يعزلونها عن سياقها، ويتجاهلون ما يخالف

1) Maurice Caudel: Les Premières Invasions Arabes Dans L'Afrique du Nord, L'Afrique du Nord, Préface , Ernest Leroux, Paris, 1900.

مآربهم، ويتلاعبون فيها ويضيفون إليها ويحذفون، لكي يجعلوها دليلَهم ومستندَهم فيما يزعمونه.

وفي اليوتيوب عدةُ مقاطع فيديو تحمل عناوينَ متشابهة، ويتكلم فيها أمازيغُ، بعضهم يحمل أسماء المسلمين، وبعضهم غير مسلمين، وبعض الحمقى منهم يصرح بأنه من الكافرين، ويجعل شعاره على قناته أنه: "**كافر مغربي**"، وجميعهم يقولون كلاماً واحداً متطابقاً، في عناصره واستشهاداته، وكأن كلاً منهم ينقل من الآخر، أو كأنهم جميعاً يغرفون من مصدر واحد، وجُلهم تختلط في كلامهم عباراتٌ عربيةٌ متكسرةٌ متهرئةٌ بتعبيرات أمازيغية وكلمات وعبارات فرنسية، وقلةٌ منهم يتكلمون بعربية مفهومة أو قريبة من الفصحى، وعناوين فيديوهاتهم كلِها تدور حول الفتوحات الإسلامية، وجرائم عقبة بن نافع في الأمازيغ، وأن المغرب أمازيغية والعرب احتلوها باسم الفتح الإسلامي، وهذا هي مصادرهم جميعاً عن الفنوحات الإسلامية وجرائم عقبة بن نافع في الأمازيغ، يقول أحدهم:

"**سأتحدث عن جرائم عقبةَ بنِ نافعٍ في الأمازيغ، ولكن وبكل أسف لا تتوافر لدينا كثير من المصادر للحديث عن جرائم عقبة بن نافع، ولكن يوجد كتابٌ يتحدث بشيء من التفصيل عن جرائم عقبة بن نافع، وقد قمت بإنزال هذا الكتاب من الإنترنت، وقرأت أول خمسين صفحة من الكتاب، وسوف أترك لكم رابط الكتاب في صُندوق الوصف**".

وكما ترى، فالأمازيغي الذي يتكلم في الفيديو، والباقون مثله بالضبط، ليسوا فقط مزورين، بل هم قبل ذلك يتكئون على أن من يخاطبونهم بكلامهم من أكلة البرسيم،

فهم يخبرونهم أنهم سيحدثونهم عن جرائم عقبة بن نافع، وفي الوقت نفسه يخبرونهم أن هذه الجرائم لا مصادر لها ولا دليل عليها!!

فإذا لم يكن عندهم مصادرُ لهذه الجرائم فمن أين وكيف عرفوها أصلاً؟!

وبعد أن نقب حمقى الأمازيغ واجتهدوا في التنقيب عن مصادر لهذه الجرائم في كتب التاريخ فلم يجدوا، كان الكتابُ الذي عَثَروا عليه جميعاً، وقرأوا منه ٥٠ صفحة وجعلوها دليلاً على جرائم عقبةَ بنِ نافع، هو كتابَ: نهايةُ الأرب في فنون الأدب، الذي يقع في ٣٣ جزءًا، وأكثرَ من ٩٠٠٠ (تسعة آلاف) صفحة، ومؤلفُه شهاب الدين النويري وُلد سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٩م، بعد فتح شمال إفريقيا بستةِ قرون!!

ومرة أخرى نذكرك أن تسأل نفسك: هؤلاء الذين قالوا هذا الكلام، وهم من حماقتهم لا يعون أن كلامهم ينقض بعضه بعضاً، هؤلاء الأمازيغ هل قاموا بدراسةٍ أو تحقيقٍ عن عقبة بن نافع وفتح شمال إفريقيا فاكتشفوا في دراستهم وتحقيقهم جرائم عقبة بن نافع التي يتكلمون عنها، أم أن هذه الجرائمَ بُولت في رأسهم، وحُقنت في إستهم، وامتلأوا بها، حتى صارت عقيدة يعتنقونها ويؤمنون بها أولاً، ثم بعد ذلك يبحثون لها عن أدلة في كتب التاريخ، فلما لم يجدوا ولَوا وجوههم نحو كتاب في فنون الأدب؟!

قبل الفتح

دولة الإسلام في مواجهة دولة الروم:

وثاني أكاذيب الطراز المزور من الأمازيغ وتدليساتِهم، أنهم فيما يحقنون به أكلة البرسيم من أتباعهم عن الفتح الإسلامي، يحجبون حجباً تاماً حقيقةَ أوضاع شمال إفريقيا إبان الفتح وقبله، وعَلاقةَ بلاد البربر بما يحدث في الشرق كله بعد ظهور الإسلام، فيوهمونهم أن بلاد البربر كانت مستقلةً معزولة آمنة ولا عَلاقة لها بالشرق وما يشهده من صدامات، وأن أهلها كانوا قبائل مسالمةً عزلاء من السلاح، ولا ناقة لهم ولا جملَ في الصراع والمواجهات بين دولة الإسلام والإمبراطورية البيزنطية، وأن جيوش الفتح الإسلامي فاجأت هؤلاء الآمنين المسالمين المجردين من السلاح، فهبطت عليهم وروعتهم وقتلتهم دون أن يكون في قدرتهم القتال أو أن يدفعوا عن أنفسهم.

وهي مجموعة أكاذيبٍ ملفوفةٍ في بعضها، فالبربر وبلادهم لم يكونوا مستقلين، أو لهم دولة يحكمونها بأنفسهم، في أي حِقبة، منذ أن ظهروا وكان لهم تاريخ، وتاريخُهم في كل حِقبة كتبه من يحكمونهم، كما يخبرك المؤرخ الفرنسي إيميل جوتييه Émile Gautier، وكان مشرفاً على التعليم في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، في كتابه: ماضي شمال إفريقيا Le Passé de L’Afrique du Nord:

"وماضي شمال إفريقيا ليس سوى سلسلةٍ لا تنقطع من السيطرة الأجنبية، فالفرنسيون جاؤوا بعد الأتراك، والأتراك ورثوا العرب، والعرب أزالوا البيزنطيين، والبيزنطيون أخرجوا الفَندال من شمال إفريقيا، بعد أن كان الفندال قد أخرجوا الرومان منها، والرومان تغلبوا على الفينيقيين، وفي كل حِقبة تخضع بلدان شمال

إفريقيا لمن يغزوها ويحتلُها، حتى يأتي من يتغلبُ عليه ويحلُ محله Une Cascade Ininterrompue de Domination Étrangère"[١].

وحين ظهر الإسلام، ووصلت فتوحاته إلى شمال إفريقيا، لم تكن بلاد البربر معزولةً عن الصدام بين دولة الإسلام والدولة البيزنطية، ولم تكن بلاداً مستقلة ولا مغلقة على أهلها، بل كانت جزءاً من الإمبراطورية البيزنطية، ووصولُ جيوش الإسلام إليها لم يكن سوى حلقةٍ في سلسلة المواجهات بين دولة الإسلام والإمبراطورية، وميدان المعركة الفاصلة بينهما في الشرق وعلى السيادة عليه، وهي المواجهات التي لم تبدأ بالدولة الأموية، ولا حتى بدولة الراشدين، بل بدأتها الدولة النبوية، وفي حياة النبي عليه الصلاة والسلام، وكان ميدانها الأولُ في شمال جزيرة العرب، ثم مع هزائم الإمبراطورية أمام جيوش الإسلام كانت تتراجع مع كل هزيمة من ميدانٍ إلى الذي خلفه، حتى وصلت إلى ميدانها الأخير في شمال إفريقيا.

ولو لم تصل جيوش الإسلام إلى شمال إفريقيا وبلاد البربر، وتضمها إلى دولته، لكان البديل الآخرُ ولا ثالثَ لهما، أن يظل شمال إفريقيا بيزنطياً وقاعدةً للإمبراطورية في الشرق، وهو فعلاً ما يريده ويسعى إليه الطراز المزور من الأمازيغ ومن يظاهرونهم من أحفاد الفرنجة، أن يعيدوا شمالَ إفريقيا وبلادَ الأمازيغ إلى ما كانت عليه قبل أن يصل إليها الإسلام، قاعدةً لأحفاد البيزنطيين والفرنجة، وامتداداً وتابعاً لهم، سياسياً ولغوياً وحضارياً.

فأما عن المواجهات بين دولة الإسلام والدولة البيزنطية، فقد بدأت بغزوة مؤْتة، سنة ٨هـ/٦٢٩م، وكان سببُها المباشر أن شُرحبيلَ بنَ عمروٍ الغساني، والي الإمبراطورية

---

1) Emile Félix Gautier: Le Passé de L'Afrique du Nord, P24, Payot, Paris, 1937.

البيزنطية على مقاطعة البتراء Petraea، أو فلسطين الثالثة Palaestina Tertia، اعترض الحارثَ بنَ عمير الأزدي، رسولَ النبي عليه الصلاة والسلام إلى ملك بُصرى، وأسره ثم قتله أسيراً في قيوده.

والجيش البيزنطي في مؤْتة كان تحالفاً بين جيش الإمبراطورية وقبائل الغساسنة في الشام.

وفي غزوة مؤتة، جنوبَ الشام، استشهد قادة الجيش الإسلامي الثلاثة، واحداً في إثر الآخر، زيدُ بن حارثة، وجعفرُ بن أبي طالب، وعبدُ الله بن رواحة، فتولى خالد بن الوليد القيادة، وناور بالجيش وانسحب به انسحاباً منظماً ليحافظ عليه.

وبعد مؤتة جاءت غزوة تبوك سنة ٩هـ/٦٣٠م، وقادها النبي عليه الصلاة والسلام بنفسه، وكان سببها المباشر القصاصَ لشهداء مؤتة، وأيضاً وصولُ أنباء احتشاد جيش الروم وقبائلِ الغساسنة ولخم وجُذام المتحالفةِ معه، على تخوم جزيرة العرب، وتأهبهم لغزوها.

وهنا لابد أن نتوقف بك، لنخبرك أن هذه التفاصيلَ الموجزة عن هاتين المعركتين تحديداً، أتيناك بها، أولاً: لتعرف أن المواجهات بين دول الإسلام والإمبراطورية البيزنطية بدأت مع الدولة النبوية.

وثانياً: لتعرف أن مواجهة الدولة النبوية ودولةِ الإسلام عموماً للإمبراطورية البيزنطية كانت مواجهة شرعية، ليس فقط بميزان الإسلام، بل بموازين الحروب في جميع الأمم والحضارات، وفي جميع الأزمان، بل وبموازين القانون الدولي المعاصر،

وفي جميع الأعراف والقوانين الذي يطلق الطلقة الأولى هو الذي يبوء بإثم الحرب كلها.

وثالثاً: لتصحب هذا النموذجَ معك وأنت تسير معنا في هذه الرحلة داخلَ أكاذيب الأمازيغ، فما يقوله الطراز المزور من الأمازيغ عن غزو العرب لقبائلهم العزلاء وبلادِهم المعزولة، هو بالضبط مثل أن يأتي اليومَ أحفاد الغساسنة ولخم وجُذام في الشام، فيزعمون أن هذه القبائل المسيحية التي كانت متحالفةً مع الإمبراطورية البيزنطية وتقاتل في صفوف جيشها، كانت قبائلَ وادعةً مسالمة في بلاد هادئة، والعربُ خرجوا بجيوشهم من الصحْراء فباغتوهم، يا عيني، وسفكوا دماءهم، ثم يقيمون مآتم وعويلاً لا ينقطع مطالبين بخروج المسلمين، أحفادِ هؤلاء العرب، من الشام، لكي يعود أحفاد البيزنطيين إليها!

وبعد مؤتة وتبوك صار الشرق كله ميداناً للمواجهة بين دولة الإسلام والإمبراطورية البيزنطية، ولم يعد يتسع لهما معاً، وأصبح حتماً أن واحدةً منهما ستزيل الأخرى منه.

ومرة أخرى نذكرك بأن المسألة لا مجالَ فيها لأحلام اليقظة والخيالاتِ الرومانسية التي يروجها المزورون عن استقلال بلد أو قوم عن هذه الدولة وتلك معاً، فهذا الخيالُ لا مكان له في حركة الدول وقوانين التاريخ، ومكانه المقاهي والمصاطبُ ومآتمُ الندبِ والعويل فقط، والتاريخ لا محل فيه للفراغ، والقوة لا تحل محلها إلا قوةٌ أخرى تكافئها أو تزيد عليها، وشعوب الشرق كلُها وبلدانُها قبل الإسلام، وفي أثناء تمدد دولته، لم يكن فيها قوةٌ يمكن أن تُزيح الإمبراطورية البيزنطيةَ وتحِل محلها، والأقوامُ والقبائلُ والدويلاتُ المفككة، في كل زمان من التاريخ، وفي كل مكان من العالم، ليس لها دورٌ في الصدام بين القوى الكبرى المتصارعة سوى أنها الميدانُ الذي تلتقي فيه هذه القوى،

والغنيمةُ التي يغنمها المنتصر، فإذا لم تدخل هذه البلدان والأقوام في دولة الإسلام، لكانت شاءت أو أبت، وبالضرورة، تابعةً لدولة البيزنطيين، ولظلت الدولة البيزنطية قائمةً إلى يومنا هذا.

وإلى جانب ذلك ينبغي أن تعلم أن إنشاءَ الدول وانتصاراتِها العسكريةَ فخرٌ تتيه به أي أمة، ولا ينبغي أن تخجلَ منه لأن من انتصرت عليهم في ساحات القتال يبكون ويولولون، ولو كانوا هم المنتصرين لاتخذوا أيام انتصارهم أعياداً، ولجعلوا من انتصروا فيها من القديسين.

والإسكندر المقدوني غزا بلاد الشرق كلَها، الأناضولَ وبلادَ الرافدين وفارسَ والهندَ والشامَ ومصر، واستعبد شعوبها، واليونانُ تتيه بأن في كل بقعة من العالم مدينةً تحمل اسمَه، والغرب كله يمجده ويؤلف في بطولته الروايات ويصنع لها الأفلام، ولا يأبهون بالبكاء والنحيب الذي بكاه وانتحبه في الكتب ضحاياهُ من مختلف الشعوب.

والأوربيون غزَوا القارة الأمريكية بالبنادق والمدافع، وأقاموا دولهم فيها، بإبادة جُل قبائلها وأهلِها الأصليين، الذين كانوا مكتوفين ومعدومي القوةِ أمام هذه البنادق والمدافع، وجرائمُهم وفظائعُهم مسجلةٌ وموثقة، وهم أنفسهم من سجلوها ووثقوها افتخاراً بها، فهل يوجد اليوم أوروبيٌ واحدٌ، يَرِد على خاطره أن يطالب بتفكيك الولايات المتحدة وكندا، وعودةِ الأوربيين فيها إلى أوروبا، وتسليمِها لمن بقي من أحفاد القبائل التي أبادوها، بل هل يرد على خاطر أحد ممن بقي من هؤلاء الأحفاد الذين أبادوا أجدادهم أن يطالب بهذا التفكيك ورحيل الأوروبيين؟!

ونابليون غزا بلدان أوروبا كلَها وصنع منها إمبراطوريةً شاسعة، وفي طريقه إلى صناعة الإمبراطورية، دك بجيوشه بلداناً ودهس شعوباً وأسقط عروشاً، واستولى على

المدن والمناطق التابعة للفاتيكان وضمها إلى إمبراطوريته، بل وغزت جيوشه الفاتيكان نفسَه واقتحمته واعتقلت البابا بيوس السابع Pius VII، لرفضه التعاون معه، ثم سجنه في فونتنبلو Fontainebleau، في فرنسا، ولن تجد فرنسياً واحداً، سياسياً أو مؤرخاً أو عامياً، يخجل مما فعله نابليون، بل يتيهون به ويمجدونه، ويرونه رمزاً لمجد فرنسا وعظمتها، ويبالغون في ذلك، حتى كان بعض الكتاب البريطان يتندرون عليهم بأن نابليون شخصيةٌ أسطورية لا وجود لها، وصنعها الفرنسيون لكي يعوضوا عقدةَ النقص التي يعانون منها عبر التاريخ، والناشئةُ عن ضعفهم العسكري.

وفي القرن العشرين استولت العصابات اليهودية على مدن فلسطين وبلداتها، بمذابحَ مروعة لأهلها العزل من السلاح، في حراسة الانتداب البريطاني وجيوشه، ومذابحُهم موثقة ومسجلة بالصور وليس فقط بالكتابة، فكافأهم العالم العلمانيُ المتحضر وأممُه المتحدة، بالاعتراف بالدولة التي أقاموها بهذه المذابح، دون أن ينتحب أحد من هؤلاء المتحضرين، أو يذرف دمعة واحدة على الضحايا وبلادِهم التي غُصبت منهم.

ثم انتصرت الدولة البني إسرائيلية على دويلات بلاليص ستان التي صنعتها الإمبراطوريات الماسونية لتكون محضناً لليهود ودولتهم، فتحولت إلى إمبراطورية تسيطر على الشرق، دون أن يلقي أحدٌ بالاً لعجزة بلاليص ستان الذين ليس عندهم سوى البكاءِ واللطم.

وما ينبغي أن تعلَمه أننا لا نحاسبُ ولا ينبغي لنا أن نحاسبَ اليهودَ ولا عصاباتِهم ودولتَهم على اجتماعهم من فجاج الأرض وانتصاراتِهم، بل نحاسبُ ويجب أن نحاسبَ بلاليص ستان وبلاليصَها على تخاذلهم وتفككهم وهزائمهم.

وهؤلاء الذين لا يرَون في المسلمين سوى أنهم أحفادُ العرب الفاتحين، ويطالبون بإخراجهم من مصر والشام وإفريقيا، ويريدون إعادةَ الشرق إلى صورته وأوضاعه التي كان عليها قبل أن يظهر الإسلام، هؤلاء هم أنفسهم، هل تجرؤوا على ذلك إلا بعد أن وصلت الإمبراطورياتُ الماسونيةُ بجيوشها إلى الشرق وأخرجتهم في حراسة سلاحها من مخابئهم؟!

ونعود بك إلى المواجهات بين دولة الإسلام والدولة البيزنطية، فبعد الجولة الأولى، في مؤتة وتبوك، انتقلت مواجهات دولة الإسلام مع الإمبراطورية البيزنطية، في عهد دولة الخلفاء الراشدين، إلى الشام، في سلسلةٍ من المعارك، أكبرها معركةُ أجنادين في فلسطين، سنة ١٣هـ/٦٣٤م، ومعركةُ اليرموك قرب نهر اليرموك في الأردن، سنة ١٥هـ/٦٣٥م، وكان تعدادُ الجيش البيزنطي فيها سبعةَ أمثال تعداد الجيش الإسلامي، وكانت قبائلُ الغساسنةِ جزءاً منه، فكان تعدادُ الجيشِ البيزنطي والقبائلِ المتحالفةِ معه ٢٤٠,٠٠٠ مقاتل، بينما كان تعداد الجيش المسلم ٣٥,٠٠٠ مقاتل.

وانتهت هذه الجولةُ الثانية بدخول الشام كلِها في دولة الإسلام، وانسحاب الإمبراطورية البيزنطية منها إلى ما خلفها، إلى مصر، لتصبح ميدانَ الجولة التالية.

وانتهت الجولةُ الثالثة كسابقتها، بدخول مصرَ في دولة الإسلام، سنة ٢١هـ/٦٤٢م، لتنسحب الدولة البيزنطية إلى غربِ مصر، ليصبح آخرَ معاقلِها في الشرق، والميدانَ الأخيرَ للمواجهة بينها وبين دولة الإسلام فيه، وغربُ مصر هو بداية بلاد البربر أو الأمازيغ.

وبلاد البربر كانت تمتد من غرب مصر شرقاً إلى المحيط الأطلنطي غرباً، ومن البحر المتوسط شمالاً إلى جنوب الصحراء الكبرى جنوباً، وهذه الرقعة كلُها، التي يقول

الطراز المزور من الأمازيغ إنها كانت بلاداً آمنة، فداهمها جيش الفتح الإسلامي وباغت قبائلَها المسالمة، لم تكن سوى بضعِ مقاطعاتٍ من الإمبراطورية البيزنطية، ضمن مقاطعاتها التي تشمل الشرقَ وجنوبَ البحر المتوسط كلَه!

الشرق البيزنطي:

فحين ظهر الإسلام وتكونت دولته، لم يكن الشرق كلُه، من الأناضول وشمال الشام وتخوم جزيرة العرب في الشرق، إلى المحيط الأطلنطي في الغرب، سوى مقاطعاتٍ بيزنطية، تضمها ثلاثُ أبرشيات، والأبرشية Dioecesis هي الوحدة الكبرى أو الإقليمُ في التنظيم الروماني والبيزنطي، وهذه الأبرشيات الثلاثُ تتكون منها الولاية الشرقية في الإمبراطورية البيزنطية.

فالأبرشية الأولى في الولاية البيزنطية الشرقية، هي الأبرشية الشرقية، أو إقليمُ الشرق، ويشمل المقاطعاتِ البيزنطيةَ في آسيا، وهي: مقاطعةُ إسوريا Isauria، في الأناضول، وعاصمتها إسوريا فيتوس Isaura Vetus، ومقاطعةُ أوزرويني Osroene، جنوبَ الأناضول، وعاصمتها الرُها، ومقاطعةُ ميزوبوتاميا Mesopotamia، أو بين النهرين، وعاصمتها نِصيبين، والمقاطعةُ الفراتية Euphratensis، غربَ نهر الفرات، وعاصمتها هيرابوليس Hierapolis، ومقاطعةُ البتراء العربية Arabia Petraea، وعاصمتها البتراء، ومقاطعةُ سوريا Syria، وعاصمتها أنطاكية.

وهاتان المقاطعتان الأخيرتان، مقاطعةُ البتراء ومقاطعة سوريا، أعادت الإمبراطورية تنظيمَهما في القرن السادس الميلادي، قبل ظهور الإسلام بقرن تقريباً، فأعادت تقسيمهما إلى سبع مقاطعات، هي: مقاطعةُ فلسطين الأولى Palæstina Prima،

ومقاطعـةُ فلسـطين الثانيـة Palæstina Secunda، ومقاطعـةُ فلسـطين الثالثـة Palaestina Tertia، ومقاطعـةُ سوريا الأولـى Syria Prima، ومقاطعـةُ سـوريا الثانية Syria Secunda، ومقاطعة فينيقيا الساحلية Phoenice Paralia، ومقاطعة فينيقيا اللبنانية Phoenice Libanensis.



الأبرشية الشرقية في الإمبرطورية البيزنطية

والأبرشية البيزنطية الثانية في الشرق، هي أبرشية أو إقليمُ إيجبتي Aegypti، ويضم ستَ مقاطعات، أربعٌ منها في مصر، وهي مقاطعةُ إيجبتوس Aegyptus، شمالَ غرب الدلتا، وعاصمتها الإسكندرية، ومقاطعة أوجَستومِنيكا Augustamnica، شمالَ شرق الدلتا، وعاصمتها الفرَما، ومقاطعة أركاديا Arcadia، في الوسط وشمال الصعيد، وعاصمتها أوكسيرينكوس Oxyrhynchus، وهي البهنسا حالياً، ومقاطعة طيبة Thebais، في الجنوب، وعاصمتها طيبة.

والمقاطعتان الأخريان في أبرشية إيجبتي، هما مقاطعة مرمريكا Marmarica، أو ليبيا السفلى Libyae Inferior، وتمتد من حدود مصر الغربية شرقاً إلى طُبرق غرباً، وعاصمتها باريتونيوم Paraetonium، وموقعها قربَ مدينة مطروح الحالية، ومقاطعة كيرينيكا وكريت Cyrenaica، أو ليبيا العليا Libya Superior، في برقة وجزيرة كريت، وعاصمتها سيريني Cyrene، وهو اسمها الإغريقي، وكان الرومان ينطقونها كيريني، ومكانها حالياً مدينةُ شحات في الجبل الأخضر.



أبرشية إيجبتي في الإمبراطورية البيزنطية

والإقليم أو الأبرشية البيزنطية الثالثة في الشرق، هي إقليمُ إفريقية[أ] Dioecesis Africae، وكانت تتكون من خمس مقاطعات، كلها في بلاد البربر، وهي كل بلاد البربر، وتمتد من غرب إقليم برقة إلى شواطئ المحيط الأطلنطي.

وهذه المقاطعات هي: مقاطعة تريبوليتانيا Tripolitania، وعاصمتها تريبوليس Tripolis، وهي طرابلس، ومقاطعة بيزاجينا Byzacena، وعاصمتها هادرومِتَم Hadrumetum، وهي الآن سوسة في تونُس، ومقاطعة إفريقية القنصلية Africa Proconsularis، وعاصمتها كارتاجو Carthāgō، وهي الآن قرطاج في تونس، ومقاطعة نوميديا Numidia، وعاصمتها كونستانتينا Constantina، وهي الآن قسنطينة في الجزائر، ومقاطعة موريتانيا السِتيفنزية Mauretania Sitifensis، وعاصمتها ستيفز Setifis، وهي الآن سِطيف في الجزائر، ومقاطعة موريتانيا القيصرية Mauretania Caesariensis، وعاصمتها سيزيريا أو قيصرية Caesarea، وهي الآن شرشال في الجزائر، ومقاطعة موريتانيا الطنجية Mauretania Tingitana، وعاصمتها تنجيس Tingis، وهي طنجة.

أ) في الدراسة كلها، رسم إفريقية بهاء التأنيث المربوطة، اسم لإقليم إفريقية وللجزء الشمالي من القارة عموماً، تمييزاً له عن قارة إفريقيا كلها، التي رسمها بالألف.



الأبرشية/الإقليم الإفريقي في الإمبراطورية البيزنطية

الحكومة البيزنطية في الإقليم الإفريقي:

وكان مركز الحكم البيزنطي لأبرشية إفريقية بمقاطعاتها الخمس، أو عاصمةُ الإقليم، في مدينة كارتاجو/قرطاج، واسمها في المصادر العربية قرطاجنة، وكان حاكمُ الإقليم الإفريقي لقبُهُ البطريرك أو البطريق كما يسميه العرب Patriarchae، وكان حاكماً عسكرياً وقائداً للجيش البيزنطي في الإقليم الإفريقي، الذي كانت الإمبراطورية تتعامل معه منذ القرن السادس الميلادي على أنه مِنطقة عسكرية.

فإليك وصفَ المؤرخ الفرنسي موريس كوديل، في كتابه: غزوات العرب الأولى لشمال إفريقيا، للأوضاع العسكرية والقوات البيزنطية في بلاد البربر، التي ينتحبُ الطراز المزور من الأمازيغ ويلطم في أكاذيبه التي يزعم فيها أنها كانت بلاداً ساكنة مستقلة وباغتها المسلمون، يقول كوديل:

"وكانـت اسـتراتيجيةُ الإمبراطوريـة فـي شـمال إفريقيـا، بخـلاف اسـتراتيجيتها فـي الأقاليم الأخرى، تقوم على إحكام السيطرة على الإقليم من خلال شبكة من الحصون والقـلاع المترابطـة، وفـي كل حصن توجد حاميـةٌ من الجنـود، وقَسمتْ الإمبراطوريـة الإقلـيمَ إلـى أربــع منــاطقَ عسـكرية، ووضـعتْ فـي كـل مِنطقـة فرقـةً يقودهـا دوق Duc"[1].

والوظيفـة الأولـى للبطريـرك وللحكومـة البيزنطيـة فـي الإقليم الإفريقـي، كانـت جمـعَ الضرائب التي تفرضها الإمبراطورية على أهل الإقليم، فإليك مرةً اخرى وصفَ موريس كوديل للضرائب التي فرضتها الإمبراطورية البيزنطية على البربر وبلادهم:

"وكان نظام الضرائب في إفريقيـة البيزنطيـة يقوم علـى حصرٍ منظمٍ لجميـع موارد البلاد، ويشمل الممتلكاتِ والثروات الخاصةَ في كل مكان منها، ففرضت الإمبراطوريـة ضــريبةَ تريبــوتم Tributum، علـــى الأراضـــي والعقـــارات والممتلكـــات، وضـــريبةَ كومبتيـو Coemptio، علـى الحُلـي والمعـادن، بالإضـافة إلـى ضـرائبَ أخـرى علـى جميع الأعمال والأنشطة، مثل الزراعة والتجارة والصناعة والحِرف والصيد والملاحـة، وكان أربعة من كل عشرة من موظفي الإقليم يعملون في جبايـة هذه الضرائب وما يتعلق بها من الشؤون الماليـة، وكانـت هذه الضرائب هي غايـة الحكومـة البيزنطيـة ووظيفتها الأساسية"[2].

---

1) Les Premières Invasions Arabes Dans L'Afrique du Nord, L'Afrique du Nord, P19.
2) Les Premières Invasions Arabes Dans L'Afrique du Nord, L'Afrique du Nord, P24.

ويقول ابنُ خَلدون في تاريخه، ضمن وصفه لأحوال البربر وملوكهم وأمراء قبائلهم قبل الإسلام:

"وكانوا يؤدون الجباية لهرقل ملكِ القسطنطينية، كما كان المقوقس صاحب الإسكندرية وبرقة ومصر يؤدون الجباية له"[١].

وآخر بطريرك، أو حاكمٍ بيزنطي لإقليم إفريقية بمقاطعاته كلها، هو فلافيوس جريجوريوس Flavius Gregorius، أو جريجوريوس الثاني، واسمه في المصادر العربية جرجير، وكان الإمبراطور البيزنطي هيراكليوس كونستانتينوس Heraclius Constantinus، أو كونستانز الثاني Constans II، قد مال إلى مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح Monothelitism، وأفسح لمعتنقيها، بينما كان جريجوريوس بطريركُ الإقليم الإفريقي في الإمبراطورية شديدَ التعصب لمذهب الطبيعة الثنائية للمسيح Dyothelitism، فقاد تمرداً على الإمبراطور في إقليم إفريقية، وأعلن انفصال الإقليم عن الإمبراطورية البيزنطية، وأعلن نفسه إمبراطوراً عليه.

وكان ذلك سنة ٦٤٦م/٢٥هـ، وجيشُ الفتح الإسلاميُ قد فتح مصر وأخرج البيزنطيين منها، إذ تم فتح معقِلِ البيزنطيين وعاصمةِ إقليم إيجبتي/مصر، وهي الإسكندرية، في سنة ٢١هـ/٦٤٢م، ثم أتم الجيش الإسلامي فتحَ المقاطعتين الغربيتين في إقليم إيجبتي، وهما مقاطعة مرمريكا ومقاطعة كيرينيكا، أو ليبيا السفلى وليبيا العليا، سنة ٢٣هـ/٦٤٤م.

١) المؤرخ عبد الرحمن بن محمد بن خَلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٤٠، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: الأستاذ خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

وكـان المسـلمون، وذلـك مـن مفـاخرهم، علــى علـم بـالخلاف بـين جريجوريـوس والإمبراطوريـة، واسـتقلالِه عنهـا، بينمـا لا يوجـد مصـدرٌ أمـازيغي واحـدٌ إبـان الفـتح الإسلامي، ولا لقرون بعده، ولا حتى مصدرٌ بيزنطي أو غربي، يوحي أن البربر كانوا على وعي بهذا الخلاف بين حاكم إقليمهم والإمبراطورية، وبآثاره الهائلة على بلادهم، وعلى موازين القوى في الشرق كله.

يقول ابن عبد الحكم في كتابه: فتوحُ مصر والمغرب:

"وكان مستقر سلطان إفريقية يومئذ بمدينةٍ يقال لها قرطاجنـة، وكان عليهم ملكٌ يقـال لـه جرجير، كـان هرقل[õ] قد اسـتخلفه، فخلـع هرقلَ، وكـان سلطانُه مـا بـين طرابلس إلى طنجة، حدثنا عبدُ الملك بنُ مسلمة، حدثنا ابن لَهِيعة، قال: "كان هرقل استخلف جرجير فخلعه"[1].

وينفرد ابن خَلدون، من بين جميع المؤرخين، بأن جريجوريوس، حاكمَ إقليم إفريقية البيزنطي، وكذلك الجيشُ البيزنطي في الإقليم، كانوا من الفرنجة، وليسوا من الروم البيزنطيين، يقول ابن خَلدون:

õ) الإمبراطـور البيزنطـي الـذي ولَّـى جريجوريـوس علـى الإقلـيم الإفريقـي، هـو هيراكليوس/هرقـل Heraclius، وهو أول من مال إلى مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح من الأباطرة البيزنطيين، ولكن الإمبراطور الذي أعلن البطريركُ جريجوريوس انفصالَه بإقليم إفريقية عن الإمبراطورية في عهده، هو هيراكليوس كونستانز، أو كونستانز الثاني، حفيدُ هرقل، ولكنْ العربُ والمسلمون إبان الفتح، لم يكونوا على علم بتسلسل الأباطرة وأسمائهم، وكان يطلقون على الإمبراطور البيزنطي لقب هرقل، أياً كان اسمه.

١) المؤرخ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشي المصري: فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٦، تحقيق: عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦١م.

"كان الفرنجةُ هم الذين ولَوا أمر إفريقية، ولم يكن للروم فيها شيء من ولاية، وإنما كان كلُ من كان منهم بها جنداً للإفرنج ومِن حشودهم، وما يُسمع في كتب الفتح من ذكر الروم في فتح إفريقية، فمن باب التغليب، لأن العرب يومئذ لم يكونوا يعرفون الفرنج، وما قاتلوا في الشام إلا الروم، فظنوا أنهم هم الغالبون على أمم النصرانية، فغلَّبوا اسمَ الروم على جميع أمم النصرانية ... فكان البربر في إفريقية والمغرب قبل الإسلام تحت ملك الفرنج"[1].

والفرنجة أو الفرانكا، كما أخبرناك من قبل، قبائل من أصول جرمانية، سمح لها الإمبراطور الروماني كلاوديوس يوليانوس/جوليان العاصي Claudius Julianus، في القرن الخامس الميلادي، بعبور نهر الراين، والتوطنِ على تخوم الإمبراطورية الرومانية قبل انقسامها، فانتشروا في المناطق التي هي اليوم فرنسا وبلجيكا وكلُ ما هو غربُ نهر الراين من وسط أوروبا.

وبعد وفاة الإمبراطور ثيودوسيوس الأول Theodosius I، سنة ٣٩٥م، انقسمت الإمبراطورية الرومانية بين ابنيه، فالإمبراطورية الغربية يحكمها الإمبراطور هونوريوس Honorius، وعاصمتها ميديولانوم Mediolanom، ومكانها الآن مدينة ميلان في إيطاليا، والإمبراطورية الشرقية، أو البيزنطية، يحكمها أركاديوس Arcadius، وعاصمتها القسطنطينية.

---

١) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٤٠.

ثم تعرضت الإمبراطورية الغربية لغزواتٍ متعددة من قبائل الهون والجرمان واللومبارد الوثنية، ففقدت معظم أراضيها في إيطاليا وما حولها، ثم انهارت سنة ٤٧٦م، ولم يعد لها وجود.

وانتهزت قبائلُ الفنديلاتس Wanđilaz، أو الفَندال Vandals، والتي جاء من اسمها اسمُ الأندلس العربية، وهي قبائل من أصول جرمانية أيضاً كالفرنجة، انتهزت انهيار الإمبراطورية الرومانية الغربية، واستولت على أراضيها في غرب أوروبا، وعلى مستعمراتها في شمال إفريقيا، وكان استيلاؤها على كارتاجو/قرطاج، عاصمةِ الإقليم الإفريقي في الإمبراطورية الرومانية، سنة ٤٣٩م.

وبعد اعتلاء الإمبراطور بتروس يوستنيانوس/جوستنيان Petrus Iustinianus، عرش الإمبراطورية الرومانية الشرقية/البيزنطية، سنة ٥٢٧م، شن عدة حملاتٍ لاستعادة ما فقدته الإمبراطورية الغربية، وتمكن قائد جيشه، بلساريوس Belisarius، من استعادة الإقليم الإفريقي، سنة ٥٣٤م، ثم وجه يوستنيانوس/جوستنيان حملاتٍ استعادت مناطقَ واسعةً من التي استولى عليها الفندال في أوروبا.

وإذا صح ما انفرد به ابنُ خلدون، من أن جريجوريوس والجيشَ البيزنطيَ في شمال إفريقيا عند الفتح الإسلامي كانوا من الفرنجة وليس من الروم، فتفسيره الوحيدُ أن الإمبراطورية كانت تضع في الإقليم الإفريقي جيشاً كونته من الفرنجة في المناطق الغربية من الإمبراطورية، بعيداً عن عاصمتِها القسطنطينية ومركزِها في اليونان والأناضول.

وإذ علمتَ أن الفرنجةَ أو الفرانكا، شعبَ فرنسا القديم، هم الذين كانوا يحكمون البربر، قبل أن يصل الإسلام إلى شمال إفريقيا، تكون قد أدركتَ تفسيرَ ما يفعله

الطراز الذي نكشف لك خباياه من الأمازيغ، وما يسعون إليه، بالاشتراك مع أحفاد هؤلاء الفرنجة.

البربر قبل الإسلام:

والآن إلى البربر أنفسِهم، كما يسميهم ابنُ خلدون في تاريخه، وعنوانه الكامل: كتابُ العبر وديوانُ المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.

والبربر في الإقليم أو الأبرشية الإفريقية، كانوا كما يصفهم ابن خلدون:

"**شعوبٌ وقبائلُ أكثرُ من أن تحصى**"[1].

ولكنهم كانوا ينقسمون إلى مجموعتين كبيرتين من العشائر والقبائل، الأولى هي البَرَانس، وهم أهلُ الحضر المستقرون الذين يعملون في الزراعة والأنشطة الحضرية، وكانوا ينقسمون إلى سبعة أقوام أو أجذام بتعبير ابنِ خلدون، وكلُ جِذمٍ أو قوم يتفرعون إلى قبائلَ عديدة، وهذه الأجذامُ السبعة الأصول في البرانس هي، كما يقول ابن خلدون:

"**أزداجة، ومصمودة، وأَوْرَبة، وصِنهاجة، وعجيبة، وكُتامة، وأوريغة، وزاد سابق بن سليم وأصحابه: لمطة وهسكورة وكزولة**"[1].

---

١) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٣٩.

والمجموعة الثانية من البربر هم البُتر، وهم البدو الرحلُ الذين يعيشون على الرعي، وكانوا ينقسمون إلى أربع أجذام أو أقوام، وكل جِذمٍ يتفرع أيضاً إلى قبائل، وأجذام البُتر هي:

"أداسة، ونَفُوسة، وضريبة، ولَوا التي تنقسم إلى بطنين كبيرين، نِفزاوة ولواتة"[٢].

ونريدك هنا أن تنتبه إلى أن ابنَ بطوطةَ، أشهرَ رحالة في تاريخ الإسلام، ورحلتُه من مفاخر ما أنتجته اللغة العربية وأمة الإسلام، وكان سفيراً لإحدى بلادها، وقاضياً في أخرى، ابنُ بطوطةَ لواتيٌّ من البُتر، أي أن أجداده حين قدِم الإسلامُ وجيشُ الفتح إلى إفريقية كانوا من البربر الرُحلِ رعاة الغنمِ والإبل.

وكانت عشائرُ البربر وبطونُهم، سواءًا كانوا من البرانس أو البُتر، على خلافٍ، وتُغير قبائلُهم على بعضها، ويدينون بديانات شتى، فمن هذه القبائل مسيحيون ويهود ومجوس ووثنيون، وكانوا في مناطق الغرب والجنوب الغربي خارجين على الرومان ويحاولون الانفصال عن الإمبراطورية البيزنطية.

ولكن جُلُ البربر، خصوصاً من البَرَانس، في المدن والقرى الحضرية في الشمال، بمحاذاة سواحل البحر المتوسط، كانوا موالين للبيزنطيين وتَرَوْمنوا في أخلاقهم وسلوكهم وعوائدهم.

---

١) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١١٧.

٢) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١١٨.

والمقاطعاتُ البيزنطية في وسط بلاد البربر وشرقِها، وهي المقاطعات المتاخمة لإقليم مصرَ ومقاطعاتِه، كان الرومان يحكمونها ويسيطرون عليها سيطرة تامة، وقبائلُها من البربر مواليةٌ لهم ومتحالفةٌ معهم وتدين في غالبها بدينهم.

يقول ابنُ خلدون في وصف ديانة البربر قبل الفتح:

"وكان دينهم دينَ المجوسية، شأنَ الأعاجم كلِهم بالمشرق والمغرب، إلا في بعض الأحايين يدينون بدين من غلب عليهم من الأمم ... فكان البربر بإفريقية والمغرب قبل الإسلام تحت مَلك الفرنج، وعلى دين النصرانية الذي اجتمعوا عليه مع الروم ... وربما كان بعضُ هؤلاء البربر دانوا بدين اليهودية، أخذوه عن بني إسرائيل عند استفحال مُلكهم، لقرب الشام منهم، كما كانت جراوةُ من أهل جبل أوراس، قبيلةُ الكاهنة، وكما كانت نَفُوسةُ من برابر إفريقية، ومدينونة ويهلولة وغياتة وبازاز من برابر المغرب الأقصى"[١].

والآن نترك المؤرخين الفرنسيين يتممون لك وصفَ بلادِ البربر وحالتِها عند وصول المسلمين وجيش الفتح إلى مصر وشمال إفريقيا، يقول المؤرخ الفرنسي وأستاذ التاريخ في جامعة السوربون شارل أندريه جوليان:

"وكانت البلاد التي احتلها البيزنطيون أقلَ مساحةً مما كانت عليه من قبل، ذلك أن موريتانيا الطنجيةَ انحصرت في سبتة، وموريتانيا القيصرية اقتصرت على قيصرية، أما موريتانيا السِطيفية فقد اقتُطِع منها الجزء الغربي، كما أن طرابلس فقدت الجزءَ الجنوبيَ منها، ولم تبق على حالها إلا نوميديا والبروقنصلية، ذلك أن

---

١) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٣٩-١٤١.

البلدان التي تُركت وشأنَها ظلت ترجعُ شيئاً فشيئاً عن الحضارة الرومانية، وتعودُ تدريجياً إلى سالف عاداتها البربرية، وإذا كان الأمر هيناً بالنسبة للأرياف حيث لم يتوغل الرومان، فإن البربرَ المترَوْمنين في المدن والقرى كانوا بعيدين عن أسلوب الحياة البربري ... والبيزنطيون جاؤوا بخصوماتهم الدينيةِ المتشعبة والعنيفة، وزادها فتح العرب لمصر حدة، ذلك أنه مِن بين مَن لجأوا إلى إفريقية كان يوجد القائلون بمبدأ الطبيعة الواحدة، كما أن تسامح العرب في الدين أدى إلى إثارة الطوائف المسيحية وزراعةِ بذور الفتنة بينها ... تلك هي حالة إفريقية قبل الفتح الإسلامي، بلادٌ مفككة Manque de Cohésion، وتبتعد عن المدنية المتحضرة، وتستعيض تدريجياً عن المؤسسات الرومانية بالتقاليد القديمة، وتتمرد على رؤسائها البيزنطيين الذين كان ولاؤهم لوطنهم الأمِ في فتور متزايد"[١]، [٢].

ويقول المؤرخ الفرنسي إيميل جوتييه:

"والبربري في القرن العشرين، مثل البربري في القرن السابع، لا يعرف معنى الوطنِ ولا الانتماء له Le Berbére Au XX^e Siècles, Comme Au VII^e N' a Aueune Idée de La Patrie، والشيء الوحيد الذي يتحمس له البربريُ، ولا يتردد في التضحية بنفسه من أجله، هو أسرته وقبيلته"[٣].

1) Histoire de L'Afrique du Nord: Tunisie, Algérie, Maroc de la Conquête Arabe à 1830, p299-300.

٢) تاريخ إفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة ١٨٣٠م، ج٢، ص٩-١٠.

3) Le Passé de L'Afrique du Nord, P278.

تفسير الفتوحات

ضمن حملاته على الإسلام وكلِ ما يتعلق به، والتي وصلت إلى التهجمِ على القرآن وشخص النبي عليه الصلاة والسلام، وهي كما علمتَ ثمار استراتيجية الفرنسيس للبربر وسياساتهم فيهم، يقول الشاعر والكاتب العلماني الأمازيغي أحمد عصيد، في برنامج له مبثوث على اليوتيوب، عنوانه: الغزو العربي لشمال إفريقيا:

"**الحقيقة التاريخية تقول بأن جيوش عرب الأمويين كانت مكونة من البدو العرب، الذين كانوا في جزيرة قاحلة، يعيشون على الجفاف، ويعيشون على مجاعات متكررة، ثقافةُ عرب الصحراء كان يميزها الندرةُ والتقشف الشديد والفقر في كل شيء، وظهور الفتوحاتِ العربية الأموية، جعل هؤلاء البدوَ يخرجون لأول مرة من جزيرتهم بحثاً عن الغنائم وبحثاً عن مصادر جديدةٍ للقوت**".

وليس هذا مقامَ أن نفند لك هذا التفسير الماركسي العتيق والعبيط للتاريخ عموماً، وللفتوحات الإسلامية خصوصاً، وإنما أتيناك بكلام سفيه الأمازيغ هذا، نموذجاً على التزوير والتدليس.

وأول ما يجب أن تنتبه إليه من أكاذيب هذا الأمي السفيه، أنه أسقط الإسلام من تفسيره إسقاطاً تاماً، ليحول المسألة من مواجهة بين وحي الإله ورسالة الإسلام وبين الضلالات والعقائد الباطلة التي يموج بها الشرق، إلى صدام محض بين الأعراق والأجناس والسلالات، وليبول في ذهن أكلة البرسيم الذين يتوجه إليهم بكلامه أن العرب الذين فتحوا الشرق كله، وأزالوا الإمبراطورية البيزنطية، مجردُ قبائلَ باديةٍ خرجت من جزيرة العرب بحثاً عن الكلأ.

ولأنه يتكأ على أن رؤوس من يخاطبهم بكلامه محشوةٌ بأطباق المهلبية، فلم يضع في حسبانه أن أحداً منهم يمكن أن يستوقفه قائلاً له: إن هؤلاء العرب كانوا قبائل بادية لمئات السنين قبل ظهور الإسلام، وجزيرتهم قاحلة ويعيشون على الندرة طوال هذه السنوات والقرون، فلماذا لم يخرجوا منها فاتحين إلا بعد أن جاءهم الوحي والرسالة واعتنقوا الإسلام؟

وثانياً: أنت أمام طراز جاهلي يستبيح فعلَ أي شيء لكي يصل إلى غرضه، ولا يخجل من الكذب والتدليس والتزوير، ككل من أنتجتهم سياسات الإمبرطوريات الماسونية في بلاليص ستان شرقاً وغرباً، فهل تنبهت أنه لكي يتمم تزويره للتاريخ، نسب الفتوحات الإسلامية إلى الدولة الأموية، مع أن خروجَ العرب من الجزيرة وبدايةَ الفتوحاتِ ومواجهاتِها، بدأ من عهد دولة الخلفاء الراشدين، بل بدأ، كما علمتَ، من قبلها، في عهد الدولة النبوية، في غزوة مؤتة وغزوة تبوك؟

وثالثاً: ما ينبغي أن تعلمه أن القبيلة غيرُ الدولة، وأن قبيلةً أو مجموعة من القبائل، لا تتحول إلى دولة وتقيم نظاماً عاماً ومؤسسات وجيوشاً، إلا إذا جمعتها ووحدتها فكرة عامة أو عقيدة تتجاوز رابطة الدم وحدود القبيلة، وسواءًا كانت هذه الفكرة العامة أو العقيدة صحيحةً أو باطلة، ثم يكون هذا النظام وهذه المؤسسات ترجمةً لهذه العقيدة والفكرة العامة، ونشرُها هي الرسالة التي تحملها جيوشها وتتحرك بها.

ورابعاً: هذا الأحمق يتعصب لجنسه وعرقه، ويتوهم أنه ينتصر لهم، ولكنه شانهم وألبسهم الخزي والعار من حيث لا يشعر، فإذا كان المسلمون الذين فتحوا شمال إفريقيا بدواً جياعاً خرجوا بحثاً عن القوت والغنيمة، فكيف هزموا البربر وفتحوا بلادهم، وماذا يكون البربر الذين دخلوا في دولة هؤلاء البدو الجياع ودانوا بديانتهم؟!

وخامساً: لأن هذا الأمي يعتمد على أنه يوجه كلامه إلى أتباع عُمي، وأن النشوة التي يصيبهم بها كلامه عن الهُوية الأمازيغية تُغيب وعيهم وتُفقدهم عقلهم، وتجعلهم يتبعونه وهم يُنهقون في سعادة ويمضغون البرسيم، فلم يتوقف ليسأل نفسه، أو يفترض أن أحداً سيسأله: حين وصل الإسلام وفتوحاته إلى شمال إفريقيا، كان بعض البربر يعيشون على الزراعة والأنشطة الحضرية، كما أخبرناك، وهؤلاء كانوا يتركزون في الشمال وبمحاذاة سواحل البحر المتوسط، خصوصاً في مناطق الشرق من الإقليم الإفريقي، الخاضع خضوعاً تاماً للبيزنطيين، أما جُل البربر في مناطق الوسط والداخل، وفي مناطق أقصى الغرب، فقد كانوا قبائل بدويةً تعيش على الرعي مثل عرب الجزيرة، وبلادهم شديدة الشبه بجزيرة العرب في صحراواتها الشاسعة وسلاسلِ مرتفعاتها المتوالية التي لا تنتهي، وفي الفقر والندرة، وكان بعضهم يُغير على بعض، بالضبط مثل العرب قبل الإسلام، فإذا كان العرب مجردَ بدوٍ فتحوا الشرق كله في بضع سنوات وأزالوا إمبراطورية حكمت العالم كله شرقاً وغرباً لمئات السنين قبلهم، خروجاً من جزيرتهم القاحلة وبحثاً عن مصادرَ جديدةٍ للقوت والغنائم، فلماذا لم يخرج البربر مثلهم من بلادهم ويفتحوا هم الشرق، بل ولماذا لم يتمكنوا من رد البيزنطيين عن بلادهم، وهم كالعرب في بداوتهم وفي ظروف بلادهم؟!

ولولا أننا نخاطب بكلامنا الطراز من الأمازيغ الذي عرفناك به، ولا نريد أن نصيب به الأفاضل من البربر، لكان ردنا على الهرتلة التي يهرتلها هذا الأحمق بالمثل الشعبي: **دا قصر ديل يا أزعر**، فلو أن بدو البربر هم الذين خرجوا من بلادهم وفتحوا الشرق وأزالوا الإمبراطورية البيزنطية لكنت الآن جالساً تحدث أكلة البرسيم في فخر عن فتوحات الأمازيغ وأمجادهم والرسالة التي أضاؤوا العالم بها.

ومن أجل أفاضل البربر نعدل عن هذا المثل الشعبي، ونرد على هذا الأمي بتفسير المؤرخ الفرنسي إيميل جوتييه، للسهولة التي فتح بها العرب شمال إفريقيا، وكيف أن البداوةَ المشتركة بين العرب والبربر كانت من أسباب هذا الفتح، وأن عرب الإسلام جلبوا المدنية والتحضر إلى بلاد البربر.

يقول المؤرخ الفرنسي إيميل جوتييه، في كتابه: ماضي شمال إفريقيا:

"**كان بدو البربر يميلون إلى بدو العرب، لأنهم بدوٌ مثلهم، وطريقةُ حياتهم متشابهة، أما البربر قاطنو المدن، فقد أدركوا مزايا الخلافة Les Advantage du Kalifat، وتقبلوا السلطة والنظام والأمان التي جلبتها إلى بلادهم، وهي العناصر التي لا تقوم المدنية من غيرها**"(١).

وإليك المؤرخ والأنثروبولجي جابرييل كومب Gabriel Camps، مؤسسَ معهد البحوث الأنثروبولوجية وما قبل التاريخ لبلدان غرب البحر المتوسط في فرنسا LAMPO، وكان أيضاً أستاذاً في جامعة الجزائر، وهو كما أخبرناك من أكثر المؤرخين الفرنسيين تعصباً لأن يكون للبربر هويةٌ مستقلة ومنفصلة عن العرب والإسلام، وكان أحد المؤسسين للموسوعة البربرية Encyclopédie berbère، إليك وصف جابرييل كومب في كتابه: البربر ذاكرة وهوية، للبدو الرُحل إبان الحكم البيزنطي:

"**يصف سينيسيوس Synesius هؤلاء الأقوام بأنهم رُحل خبيرون بتربية الجمال، ويقدرون على التنقل لمسافات طويلة على أطراف الصحراء، وفي أثناء الغزو البيزنطي الثاني توغلت لواتة، ومعهم قبائل أخرى، في بيزاجينا، وسطَ تونس**

---

1) Le Passé de L'Afrique du Nord, P279.

وجنوبَها، وقد وجد البكري وابن خلدون لواتة هؤلاء أنفسَهم في جنوب الأوراس، وحتى تيارت، فكأن هذه القبائل الكبيرة من الرحل ظلت تتقدم ببطء طوال قرون من برقة باتجاه وسط المغرب الكبير، فكانت واحدة من تلك الحركات التي نراها من قديم العصور تدفع أقواماً من الشرق صوب المغرب الكبير"[١].

ويقول ابن خلدون، في وصف حياة البربر ودياناتهم:

"**يتخذون البيوت من الحجارة والطين، ومن الخوص والشجر، ومن الشعر والوبر، وسكنوا القفار عصوراً في الخيام وانتجاع الأمصار، من الإسكندرية إلى البحر، وإلى طنجة والسوس، ويظعن أهلُ العز منهم والغلبةِ لانتجاع المراعي، فيما قرب من الرحلة، لا يجاوزون فيها الريف إلى الصحراء، ومكاسبهم الشاء والبقر، والخيلُ في الغالب للركوب والنتاج، وربما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة منهم، شأن العرب، وكان منهم من تهود ومن تنصر، وآخرون مجوساً يعبدون الشمس والقمر والأصنام"[٢].**

فإذا أعدت قراءة ما قاله جابرييل كومب وابنُ خلدون، وقد أخفيت الأسماء، فهل يمكنك أن تميز إن كان يتكلم عن البربر في بوادي شمال إفريقيا، أم عن العرب في بوادي جزيرتهم قبل الإسلام؟!

فهلا تيقنت أن أحمد عصيد وطرازه من الأمازيغ قوم يصنعون تاريخهم ويشكلونه من الملبن، حتى إذا جاعوا أكلوه؟!

---

١) البربر ذاكرة وهوية، ص١٦٢.

٢) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١١٦، ١٢٣.

وسادساً: إليك تفسيرَ المؤرخ البريطاني المتخصصِ في تاريخ الشرق القديم، ألفريد بتلر Alfred Butler، للسرعة التي فتح بها العرب بعد الإسلام، بلدان الشرق كلها، ودانت لهم به شعوبها، لتقارنه بتفسير سفيه الأمازيغ الذي لا يعرف يمينه من شماله، لا في تاريخ الشرق، ولا في تاريخ قومه الذين شانهم ولطخهم بالخزي والعار وهو يحسب أنه يدافع عنهم، ويفسر التاريخ وصعود الدول وحركة الجيوش وصدام الإمبراطوريات من خلال فمه وبطنه وإسته، وهو يتكأ على أن من يخاطبهم من أكلة البرسيم مثله ولا يميزون يمينهم من شمالهم.

يقول بتلر في كتابه: فتح العرب لمصر وآخرُ ثلاثين سنةً من السيطرة الرومانية The Arab Conquest of Egypt And The Last Thirty Years of The Roman Dominion، وهو يعدد أسباب انتصار العرب وسرعةِ فتوحاتهم في الشرق عموماً:

"ولا شك أن ضعف أسدي الروم والفرس، وما كان بين المسيحيين من الشحناء والبغضاء، وما انبعث في نفوس العرب من الإيمان، وما كان فيهم من حب الفيء والغنيمة في هذه الحياة، وما كانوا يأملونه من نعيم الآخرة، لا شك في أن ذلك كله كان عاملاً قوياً على فوز العرب في غزواتهم ... وفوز المسلمين كان له سبب آخر، ألا وهو ما حل بالمسيحيين من الخذلان والوهن، وهو ما كان يعدل في شدته ما كان عند المسلمين من إيمان وقوة، قال قدرينوس: "على حين كانت الكنيسة تحتوشها الملوك ومن لا يخشون الله من القسوس، خرج من الصحراء عملاق ليعاقبنا بذنوبنا"، وهي كلمات قليلة، ولكنها تدل على أن المسيحيين كانوا يشعرون أن محمداً رسولٌ من الله، أو على الأقل أنه سوط من الله أرسله عليهم، وهذا شعور يظهر على لسان كثير ممن كتب من المسيحيين في ذلك الوقت، مثل لوقا الذي

أسلم مدينة حلب للعرب، وبازل الذي أسلم مدينة صور، وسبيوس الأرمني الذي نورد قوله، وهو قول عجيب، يقول سبيوس: "وفي ذلك الوقت ظهر رجل من ولد إسماعيل، اسمه محمد، كان تاجراً، وقال للناس إن الله أرسله بدعوة الحق، واجتمع الناس بأمره ودانوا لشريعته وهجروا عبادة الأوثان"، ووجه العجب في كلام سبيوس أنه كان مسيحياً، وكان فوق ذلك أسقفاً"[1]!

وهذا هو تفسير المؤرخ الفرنسي جابرييل كومب، للسرعة التي فتح بها العرب بلاد البربر خصوصاً، ولماذا تحولوا إلى الإسلام:

"وغزاة العرب كانوا قليلي العدد، لكنهم بواسل، ولم يجدوا في مواجهتهم دولة على استعداد لمقاومة ذلك الاجتياح، بل تصدى لهم معارضون متتابعون، كان فيهم البطريركُ البيزنطي، ثم الرؤساءُ البربر، وإماراتٌ وقبائل مفرقة، وقد انغرست ديانة الغزاة العرب في المدن القديمة، التي كان يزورها الدعاة والعلماء، وهم رحالة متمرسون على المناقشات اللاهوتية، وأسهم إنشاء مدن جديدة، وقد كانت مراكزَ دينيةً حقيقية، مثل القيروان وفاس، في الترسيخ للإسلام على طرفي البلاد، وتحول البربر في البوادي والقرى، من صنهاجة وزناتة، إلى الإسلام، لأنهم كانوا مهيئين للتوحيدية المطلقة التي جاء بها الإسلام، بفعل الانتشار الذي تحقق عندهم للمسيحية قبل الغزو العربي، وبسبب التبشير اليهودي الذي كان يجري لدى قبائل الجنوب من الرُحل، كما أن الغزوات الظافرةَ التي خاضها المقاتلون البربر بعد ذلك

---

١) المؤرخ البريطاني ألفريد بتلر: فتح العرب لمصر وآخرُ ثلاثين سنةً من السيطرة الرومانية، ص١٣٥، عربه: الأستاذ محمد فريد أبو حديد، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥١هـ/١٩٣٣م.

تحت قيادة رؤسائهم وتحت راية الإسلام كان من الطبيعي أن تؤدي بهم إلى الانقلاب للإسلام"[١].

ويقول كومب في موضع آخر من كتابه:

"الإسلام كان يُقدَم في بساطته اللاهوتية، باعتباره خاتمةً للمسار الروحي الطويل الذي سارت فيه البشرية، انتهاءًا إلى الوحدانية المطلقة، فقد جاء محمد ليتمم الوحي، غيرَ منكر للأنبياء السابقين عليه، أو منكرٍ للمسيح، إنها حقيقة تقترب من البداهة، ولكنها تأخذ بمجامع النفوس الأقل انفتاحاً على الأمور الميتافيزيقية، وتغلق الباب أمام أي تأويل، فإعلان الانتساب للعقيدة الإسلامية يتم بوضوح ومن غير لبس، لقد كانت البساطة المميزة للعقيدة الإسلامية مما يناسب البربر كثيراً، وعلى خلاف اللبس الذي يشوب المسيحية، من حيث قيامُها على مسألة الثالوث المتمثِل في إدخال ثلاثة أشخاص في إله واحد، في المسيح الذي يُجعل إلهاً وإنساناً يقوم مقام جوهر الأب، الذي وُلِد ولم يُخلق، على خلاف هذا اللبس تحقق للإسلام النفوذ ببساطته اللاهوتية إلى نفوس البربر، وكان للإسلام ميْزة اخرى، تتصل ببساطته اللاهوتية، وهي انعدام رجال الدين بالمعنى الحقيقي فيه، فلا نرى لهم دوراً يمكن أن يضطلعوا به، لأنه ليس في الإسلام أسرار يُخَص بها البعض، وتعاليمُه قُدمت من الناحية المبدئية دفعة واحدة"[٢].

---

١) البربر ذاكرة وهوية، ص٢٢٦-٢٢٧.

٢) البربر ذاكرة وهوية، ص٣٠٠.

فهل ترى تفسيرَ المؤرخ الفرنسي كومب للفتوحات في شمال إفريقيا وتحولِ البربر للإسلام، يفرق عن تفسير المؤرخ البريطاني بتلر للفتوحات في الشرق، وتحولِ شعوبه كلها للإسلام، وهل رأيت البون الشاسع بين تفسيرهما وبين ما قاله سفيه الأمازيغ؟

ونزيدك على ما قاله البريطاني بتلر والفرنسي كومب، أن وحي الله ورسالته الخاتمة وبيانه النهائي إلى خلقه، الذي أنزله عز وجل على العرب وبلغتهم، هو الذي وحد قبائل العرب، وحولهم من عشائر باديةٍ متفككةٍ تتقاتل على الكلأ، إلى دولة، وأخرجهم من بوادي جزيرة العرب إلى العالم، والوحي والرسالة التي حملتها جيوش هذه الدولة هي التي فتحت أمامهم بلدان الشرق ونفوس شعوبه، ولولا القرآنُ وبيانُ الإله الخاتمُ الذي فيه، ما توحدوا ولا كانت لهم دولة، ولا فتحوا بلدة واحدة من بلدان الشرق، ولا دان لهم ودخل في طاعتهم وتكلم بلغتهم شعب من شعوبه، ولظلوا كالبربر، وكغيرهم من القبائل في بوادي الشرق وصحراواته، بل وفي الغرب أيضاً.

فإليك شهادةً غربية.

كان الشاعر الألماني يوهان فولفانج جوته، وصديقه المستشرق الألماني يوهان هردر Johann Herder، شديدي الإعجاب بشخص النبي عليه الصلاة والسلام، وبالقرآن والرسالة التي يحملها للبشر، وبعقيدته في التوحيد الخالص، ويدركون أن قوته هي التي وحدت العرب وأدخلت شعوب الشرق في دولتهم، وفي رسالة أرسلها هردر إلى جوته يقول له:

"لو توافر لقبائل الجرمان التي غزت أوروبا كتابٌ مثل القرآن، لما سادت اللاتينية على الجرمانية، ولما تفرقت هذه القبائل وضاعت آثارها في أوروبا"[١].

وسابعاً وأخيراً، ويمكنك أن تجعلها أولاً وقبل ذلك كله: سفيه الأمازيغ هذا، لأنه جاهل وجاهلي ولا يعنيه الحقُ ولا الحقيقة، فهو يتوهم ويوهم من يخاطبهم بكلامه، أن جيوش الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا وقادتَها كانوا جميعاً من عرب الجزيرة، وهم لم يكونوا كذلك، بل، كما ستعلم، كان من قادة جيوش الفتح من هم من عرب الجزيرة، كعقبة بن نافع، ومنهم من كان من أهل الشام الذين دخلوا في الإسلام بعد فتحها، مثل حسانَ بنِ النعمان الغساني، والي إفريقية وقائدِ جيش الفتح الإسلامي الذي هزم جيشَ الكاهنةِ دِهيا وقتلها، ومن قادة جيوش الفتح من كانوا من غير العرب على الإطلاق، مثل أبي المهاجر دينار، والي إفريقية وقائدِ جيش الفتح الذي هزم جيش كُسَيلة بنِ لمزم وأسره قرب تلمسان، وأبو المهاجر دينار ليس من العرب على وجه اليقين، وهو على الراجح من نصارى مصر وأسلم بعد فتحها.

ذلك أن ميزان الإسلام ليس فيه التمييز بين الأشخاص بحسب أقوامهم وأنسابهم، ولا بحسب دياناتهم التي كانوا عليها قبل أن يدخلوا في الإسلام.

وسوف تفاجأُ وأنت تواصل الرحلة معنا، أن بعض قادة جيوش الفتح الإسلامي، الذين أتموا فتح المغربِ الأوسط والمغربِ الأقصى، كانوا من البربرِ أنفسِهم، مثل هلالِ بنِ ثَرْوانَ اللواتي، الذي كان على مقدمة جيش الفتح الذي فتح كارتاجو/قرطاجنة عاصمةَ الإقليم الإفريقي، وأخرج البيزنطيين منها، ومثلَ ابني الكاهنة دِهيا، اللذَيْن

---

١) د/كاتارينا مومزن: جوته والعالم العربي، ص١٤٤، ترجمة: د/عدنان عباس علي، عالم المعرفة ١٩٤، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، فبراير ١٩٩٥م.

أسلما وانضما إلى جيش حسانَ بنِ النعمان الغساني، في حياة أمهما، وكانا على رأس فرقتين من البربر في جيش الفتح الذي هزم الجيش الذي تقوده أمهما!

وكذلك طارق بن زياد، فهو من نفزاوة، إحدى قبائل البُتر، وقد كان أحد قادة جيوش الفتح التي أتمت فتح المغرب الأقصى، ثم صار والياً على طنجة والسوس، ثم عبر المضيق على رأس جيش من البربر، باسم الإسلام وتحت راياته، ليصبح فاتح الأندلس.

وهنا موضع أن نعرفك لماذا يخص الطرازُ الجاهلي المزورُ من الأمازيغ عقبةَ بن نافعٍ بالكراهية والهجوم، ويختزل الفتوحاتِ الإسلاميةَ لشمال إفريقيا في شخصه وحده، دون بقية الفاتحين وقادة جيوش الفتح.

وفتح شمال إفريقيا استغرق عشرات السنين، واشترك فيه عدد كبير من قادة الجيوش الإسلامية، وهؤلاء القادة كانوا متشابهين في سلوكهم، وجميعهم قادوا الجيوش وفتحوا شمال إفريقيا باسم الإسلام وتحت راياته، وجميعهم كانوا ولاةً لإفريقية وقادةً للجيوش من قِبل الدولة الأموية.

وعقبة بن نافع طار صيته بسبب تأسيسه لمدينة القَيروان، وبسبب حملته الخارقة التي اخترق فيها بلاد المغرب وشمالِ إفريقيا من أدناها في برقة إلى أقصاها على شواطئ المحيط الأطلنطي، بخمسة آلاف رجل فقط، وما تلاها من استشهاده الجليل وهو يقاتل في ثلاثمائة رجلٍ آلافَ البربر، ولكنَّ عقبةَ بنَ نافع لم يكن صاحبَ الإنجاز الأكبر في فتح شمال إفريقيا، ولا قائدَ المواجهاتِ الأعنف والمعاركِ الفاصلة مع البربر، ويسبقه في الموقع الحقيقي من فتوحات شمال إفريقيا، ومن المواجهات والمعارك الفاصلة مع البربر، زهيرُ بن قيس البلوي، الذي قضى على كُسَيلةَ وجيشه

فـي معركـة مَمَّس قـرب القَيـروان، وحسـانُ بـنُ النعمـان الغسـاني، الـذي سـحقَ جـيش الكاهنةِ في جبال الأوراس، وهو فاتح كارتاجو/قرطاجنة، عاصمة البيزنطيين في شمال إفريقيا، وفاتحُ المغرب الأوسط، وكذلك موسى بنُ نصير، فاتحُ المغربِ الأقصى وبلادِ السوس، بمعاونة طارق بن زياد.

وجميع قادةِ جيوش الفتح التي اشتركت في فتح المغرب الأوسط والمغرب الأقصى، أي من تونس وأقصى شرق الجزائر إلى طنجةَ وبلادِ السوس، كانوا من غير العرب، ومن خارج جزيرة العرب، باستثناء عقبةَ بنِ نافع، فحسانُ بن النعمان فاتحُ المغرب الأوسط غسانيٌ من الشام، وموسى بن نصير، فاتحُ المغرب الأقصى، كان أبوه من نصارى بلدة سِفاتا Ŝefâṯa، شرقَ الشام، وهي الآن عينُ التمر، غرب العراق، ثم أسلم وصار من قادة حرس معاويةَ بنِ أبي سفيان، والي الشام، ثم مؤسسِ الدولة الأموية وأمير المؤمنين، وطارقُ بنُ زياد من نفزاوة من البربر البُتْر.

وليس قادةُ جيوش الفتح فقط، بل وجُلُ الجيوشِ التي أتمت فتح المغربِ الأوسط والمغربِ الأقصى، لم تكن من عرب الجزيرة، بل كانت من جند الشام ومصر الذين أسلموا بعد الفتح، ومن البربر أنفسهم، وجيشُ حسانَ بنِ النعمان الغساني الذي فتح المغربَ الأوسطَ كان فيه اثنا عشر ألفاً من البربر الذين أسلموا تحت قيادة ابني الكاهنة.

وهنا تكون قد أدركت لماذ يختزل الطرازُ الجاهليُ المزور من الأمازيغ فتوحاتِ شمال إفريقيا في شخص عقبةَ بنِ نافع، ويَخُصونه من بين جميع فاتحي شمال إفريقيا بحملاتهم.

لأنه العربيُ الوحيدُ ومن جزيرة العرب، من بين هؤلاء الفاتحين، واختزالُ الفتوحاتِ فيه يتوافق مع تزويرِ الطراز الجاهلي من الأمازيغ للفتوحات، وتحويلِها من فتوحات باسم الإسلام وتحت راياته ومن أجل توصيل رسالته، إلى غزواتٍ بدويةٍ محض من عرب الجزيرة على البربر وبلادهم، وأنه ليس لها غايةٌ سوى الغنائم، ولكي يكون هذا التدليسُ، وحصرُ الفتوحات في عقبة بن نافع العربي، من وسائلهم في تكريه البربر في العرب، وتنفيرِهم من لغتهم ودينهم، وفي إبعادِهم عن الإسلام وإخراجِهم منه.

أما ظهورُ حقيقةِ أن جيوشَ الفتوحات، وجُلَ قادة هذه الجيوش، لم يكونوا من العرب، فيكشفُ تزويرَهم وتدليسَهم، ويضرب مشروعَهم الفرانكفوني في مقتل، ويعيدُ صورةَ هذه الفتوحات الحقيقية إلى أذهان عموم البربر، وهي أنها فتوحاتٌ باسم الإسلام وحاملةٌ لرسالته، واشترك فيها مَن أسلموا من مختلف البلدان والأقوام والشعوب، في مواجهة الضالين والجاهليين من البربر، وأنها وصلت إلى بلاد البربر بعد مواجهة الضالين من غير البربر في جميع بلدان الشرق، وبعد مواجهة الضالين والجاهليين من العرب أنفسهم.

وبقي في هذه المسألة، أن تنتبه إلى أن هذا الطرازَ الجاهليَ المزور من الأمازيغ، الذي يشنُ الحملات على الفتوحات الإسلامية، ويصفُها بأنها غزواتٌ استعمارية، وبأن ما حدث إبانها من معاركَ في ميادين القتال، لم يكن سوى مذابحَ من العرب للبربر، هذا الطرازُ الجاهليُ المزورُ لن تجدَه يتطرقُ بكلمة واحدة إلى غزوات فرنسا الاستعمارية لشمال إفريقيا، واحتلالِ جيوشها لبلدانه، ونهبِها لها، وما ارتكبته من مجازرَ حقيقيةٍ موثقةٍ ضد أهل هذه البلدان، من العرب ومن البربر أنفسهم.

وبينما يشُن سفيه الأمازيغ أحمد عصيد، باسم العلمانية والأمازيغية، حملات على كل ما يتصل بالعرب والإسلام، من أول الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا وقادته، مروراً بشريعة الإسلام ومنظومته القيمية والأخلاقية، وبتاريخه وحضارته، حتى يصل إلى التهجم على القرآن والنبي عليه الصلاة والسلام، فسوف تجده في الوقت نفسه يتودد لليهود ويتمسح فيهم، ويضع مقاطع فيديو على قناته على اليوتيوب عن: **التعايشُ بين الأمازيغ واليهود منذ القِدم**، وعن: **عراقة اليهود المغاربة، واندماجُهم في ثقافة الأمازيغ**، والسماتُ المشتركةُ بينهم، وأن المشكلة مع اليهود سببُها تمييز الإسلام وعنصرية أحكامه الفقهية تجاه أهل الذمة، واليهودية عقيدة وشريعة ونصوصاً مقدسة هي الديانة التمييزية العنصرية الحقيقية تجاه غير اليهود من جميع الأقوام والشعوب والملل والديانات.

وسوف تدرك السر خلف هذه المفارقات، إذا فهمت أن مشروعَ هذا الطراز الجاهلي المزور من الأمازيغ ليس سوى مشروعِ فرنسا، وهي التي صنعتهم وتُرضعهم، وهو في حقيقته جزءٌ من مشروع اليهود والإمبراطوريات الماسونية للشرق كله، وإعادةِ تصميمه وهيكلته ليكون محضناً للدولة البني إسرائيلية، ومجالاً حيوياً آمناً لها يمتد من المحيط الهندي إلى المحيط الأطلنطي، أو من باكستان إلى طنجة، كما قال ديفيد بن جوريون.

الفتوحات

من مصر إلى تونس في مواجهة الروم لا البربر:

والآن إليك كيف كان فتح شمال إفريقيا، والوقائعَ الرئيسية في هذا الفتح، لنعرفك في ثنايا مسار الفتوح ببقية أكاذيب الطراز المزور من الأمازيغ، وحقيقة هذه الأكاذيب.

في بداية شهر المحرم سنة ٢٠هـ/٨ نوفمبر ٦٤١م، وقَّع عمرو بن العاص معاهدة الإسكندرية مع حاكم إقليم إيجبتي البيزنطي، البطريرك كيرس Cyrus، الذي يسميه العرب المقوقس، والذي فوضه الإمبراطور البيزنطي كونستانز الثاني في توقيع المعاهدة، التي سلمت بها الإمبراطورية البيزنطية الإسكندرية، عاصمة إقليم إيجبتي، لجيش الفتح الإسلامي، على أن يُخلي الجيش البيزنطي الإسكندرية ويُبحر عنها بعد أحد عشر شهراً من توقيع المعاهدة، وكان حساب الشهور بالتقويم القبطي.

وفي بداية شهر بابه Babah، القبطي، الموافق ليوم ١٧ سبتمبر سنة ٦٤٢ من التقويم الجولياني الغربي، ولبداية شهر المحرم سنة ٢١ من التقويم الهجري، رحل البيزنطيون عن الإسكندرية، وسلموها لجيش الفتح.

وقد علمتَ من قبل أن مقاطعتي مرمريكا وكيرينيكا وكريت، أو ليبيا السفلى وليبيا العليا، وتمتدان من غرب مصر إلى نهاية برقة، كانتا في التنظيم البيزنطي لولايتها الشرقية تابعتين لإقليم إيجبتي المصري، وليس للإقليم الإفريقي، وكانت الطرق من مصر إلى برقة ممهدة مطروقة والحركة بينهما لا تنقطع.

وكـان جيش الفتح الإسـلامي الـذي يصـفه البقـر هنـا وهنـاك بأنـه قبائـل مـن البـدو الجيـاع، علـى وعـي بـالأوضـاع الاسـتراتيجية والعسـكرية لمصـر، ويـدرك صـلة هـاتين المقاطعتين بها، وأنه لا يمكن تأمين حدود مصر الغربية إلا بضمهما إليها، ولذا ما أن أبحر الجيش البيزنطـي عن الإسكندرية، واستقرت الأوضـاع فـي المقاطعات المصرية من إقليم إيجبتي، حتى تهيأ جيش الفتح لغزو المقاطعتين الغربيتين من الإقليم.

وفي سنة ٢٢هـ/٦٤٣م، خرج عمرو بن العاص بجيشه من مصر، وسار بـه حتـى وصل مدينة بنتابوليس Pentapolis[/]، ويسميها العرب أنطابلُس، ففتحها صلحاً دون قتال، على أن يؤدي أهلها جزية قدرها ١٣ ألف دينار سنوياً.

يقول ابن عبد الحكم في فتوح مصر والمغرب:

"**فسار عمرو بن العاص في الخيل حتى قدم برقة، فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونـها جزية**"[١].

وهنا مسألتان، الأولى والأهم، أن الطريق التي اجتازها عمرو بن العاص بجيشه من مصـر إلـى أنطـابلس أو برقـة، كانـت خاليـة من البيزنطيين بعد أن رحلوا بجيشـهم عن إقليم إيجيبتـي إلـى شمال البحـر المتوسط، ولكنها كانت مليئة بـالبربر البُتر من لواتة،

õ) **بنتـابوليس Pentapolis، هـو الاسـم الإغريقـي لإقلـيم برقـة، ومعنـاه: المـدائن الخمـس، وفـي الإمبراطورية البيزنطية، وزمن الفتح الإسلامي، كان اسم الإقليم كيرينيكا، بينما اقتصر اسم بنتـابوليس أو إنطابلس على المدينة التي سماها العرب بعد ذلك: المرج، وموقعها ٩٠ كيلومتراً إلى الشرق من بنغازي، وإقليم كيرينيكا صار اسمه في الإسلام برقة.**

١) **فتوح مصر والمغرب، ص٢٢٩.**

وأهل مدينة أنطابلس الذين عاهدوا عمرو بن العاص وصالحوه دون قتال، هم أنفسهم من لواتة، كما يخبرك ابن عبد الحكم وابن خلدون.

يقول ابن عبد الحكم في فتوح مصر والمغرب:

"**وتقدمت لواتة، فسكنت أرض أنطابلس، وهي برقة، وتفرقت في هذا المغرب، وانتشروا فيه**"[١].

ويقول ابن خلدون عن برقة:

"**وكانت داراً للواتة وهوارة وغيرهم من البربر**"[٢].

ونذكرك بأنه لا يوجد مصدر بربري واحد يؤرخ لهم ولبلادهم إبان الفتح الإسلامي، ولا قبله، والمصادر البيزنطية تؤرخ للإقليم الإفريقي وهو تحت السيادة البيزنطية، وتتوقف عند الفتح الإسلامي، والمؤرخون الغربيون كلُ معارفهم عن الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا ينقلونها من المصادر العربية، فالمصادر العربية هي المصادر الوحيدة لفتح شمال إفريقيا وبلاد البربر، وما واكبه من أحداث وحوادث.

والمسألة الأولى التي نتوقف بك عندها، أنه لا يوجد في أي مصدر، أن عمرو بن العاص قد لقي مقاومة من بربر لواتة، أو خاض معركة واحدة في مواجهتهم، وقد كانوا ينتشرون في الصحراء على طول الطريق الذي سار فيه ويربو على الألف كيلومتر،

---

١) فتوح مصر والمغرب، ص٢٢٩.

٢) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٣٥.

منذ أن خرج بجيشه من مصر، إلى أن وصل إلى أنطابلس وصالح أهلها، وهم أيضاً من لواتة.

وأما المسألة الثانية، فهي أن الحكم على الشيء ينبغي أن يكون داخل ما يحيط به من أوضاع، ومقارنة بما سبقه، فقبل أن ينتحب المزورون ويلطمون صارخين: الجزية، الجزية، نعرفك بأن هذه الجزية كانت نظير الزكاة التي تجب على المسلمين وتجمعها دولة الإسلام منهم كالجزية من غير المسلمين. وأنها كانت واحدة وموحدة، وتساوي ديناراً واحداً في السنة عن كل شخص، بينما كانت الضرائب البيزنطية، كما علمتَ، متعددة على الشخص الواحد، فعليه ضريبة كومبتيو على الحلي والمعادن، وضريبة تريبوتوم على أي شيء يمتلكه، بيتاً أو أرضاً أو مزرعة، وضريبة على أي عمل أو نشاط يمارسه، زراعة أو تجارة أو صناعة أو حرفة أو صيداً.

فهذه الجزية التي يعزلها الكذابون عن سياقها ليتخذوها ذريعة للانتحاب واللطم وتهييج أكلة البرسيم، كانت في حقيقتها فرجاً لأهل برقة وتخفيفاً عنهم.

يقول المؤرخ الفرنسي جابرييل كومب:

"والجزية التي فرضها العرب على سكان إفريقية لم تكن بأثقل من الضرائب التي كانت تقع عليهم من البيزنطيين، وقد كانت جبايتها تبدو في بادئ الأمر على الأقل في صورة مساهمة في التخفيف من مآسي الحرب، أكثر مما هي فريضة دائمة"[١].

ولأن الجزية كانت تخفيفاً لم يحتج عمرو بن العاص إلى إرسال أحد أو تعيينه لجمع الضرائب من لواتة وأهل برقة، بل كانوا يجمعونها هم ويرسلونها إليه من تلقاء

---

١) البربر ذاكرة وهوية، ص٢٢٧.

أنفسهم، بينما كان أكثر من ثلث الموظفين البيزنطيين في الإقليم الإفريقي يعلمون في جباية الضرائب المتعددة والمتنوعة من البربر.

يقول ابن عبد الحكم:

"عن عثمان بن صالح وغيره، قال: "ولم يكن يدخل برقة يومئذ جابي خراج، وإنما كانوا يبعثون بالجزية إذا جاء وقتها ... وحدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا ابن لهيعة، عن يزيد الحضرمي، عن أبي قنان الحضرمي، عن أبيه، قال: سمعت عمرو بن العاص على المنبر يقول: لأهل أنطابلس عهد يوفى لهم به"[1].

وبعد فتح أنطابلس وبرقة، ولكي يؤمِّن مسيرةَ الجيش في الشمال من أن يتعرض لهجوم من الصحراء في الداخل، أو يُقطع طريق عودته إلى مصر، أرسل عمرو بن العاص قوة بقيادة عقبة بن نافع، وكان في الثالثة والعشرين من عمره، إلى صحراء فزان في الجنوب، فوصل إلى زَويلة، وموقعها في وسط صحراء فزان جنوب ليبيا، وأيضاً دون مواجهات ولا قتال.

يقول ابن عبد الحكم:

"ووجَّه عمروُ بن العاص، عقبةَ بن نافع، حتى بلغ زويلة، وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين"[2].

وفي فتوح البلدان للبلاذري، وهو من مؤرخي القرن الثالث الهجري، أنه:

---

١) فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٠.

٢) فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٠.

"حدثني بكر بن الهيثم، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، قال: كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب يعلمه أنه قد ولَّى عقبة بن نافع المغرب، فبلغ زَويلة، وأن مَن بين زويلة وبرقة سِلم كلهم، حسنةٌ طاعتهم، قد أدى مسلمهم الصدقة/الزكاة، وأقر مُعاهدَهم بالجزية"[1] .

والطريقة التي فُتحت بها المقاطعتان الغربيتان من إقليم إيجبتي بعد رحيل الجيش البيزنطي، والعهد الذي تم بين جيش الفتح وبربر لواتة في أنطابُلس، في هدوء ودون معارك، يصل بك إلى الإقليم الإفريقي من الإمبراطورية البيزنطية، وما شهده من أحداث عاصفة إبان الفتح، ومن معارك في مواجهة البيزنطيين وقبائل البربر المتحالفة معهم وتقاتل في كنف جيشهم.

بعد فتح برقةَ المتاخمةِ لمقاطعة تريبوليتانيا في الإقليم البيزنطي الإفريقي، تحرك عمرو بن العاص بجيش الفتح في اتجاه تريبوليس أو طرابلس، عاصمة المقاطعة، وقد تحصن بها البيزنطيون، ففتحها، سنة ٢٣هـ/٦٤٤م، وانفرد ابن عبد الحكم في كتابه: فتوح مصر والمغرب، من بين جميع المؤرخين، بوصف تفصيلي لهذا الفتح، فهاك هو:

"حدثنا يحي بن عبد الله بن بكير، عن الليث بن سعد، قال: "غزا عمرو بن العاص طرابلس سنة ٢٣هـ، فنزل على القبة التي على الشرَف من شرقيها، فحاصرها شهراً، لا يقدر منهم على شيء، فخرج رجل من بني مُدْلِج ذات يوم من

---

١) المؤرخ أبو العباس أحمد بن يحي بن جابر البلاذري: فتوح البلدان، ص٣١٥، حققه وشرحه وعلق على حواشيه وأعد فهارسه وقدم له: د/عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

عسكر عمرو متصيداً في سبعة نفر، فمضوا غربي المدينة، ثم رجعوا فأصابهم الحر، فأخلوا على ضفة البحر، ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور، وكانت سفن الروم شارعةً في مرساها إلى بيوتهم، فنظر المدلجي وأصحابه، فإذا البحر قد غاض من ناحية المدينة، ووجدوا مسلكاً إليها من الموضع الذي غاض منه البحر، فدخلوا منه حتى أتوا من ناحية الكنيسة، وكبروا، فلم يكن للروم مفزع إلا سفنهم، وأبصر عمرو وأصحابه السكة في جوف المدينة، فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم، فلم تُفلت الروم إلا بما خف من مراكبهم، وغنم عمرو ما كان في المدينة"[١].

وفي الليلة نفسها التي فتح فيها تريبوليس/طرابلس، عاصمةَ مقاطعة تريبوليتانيا، ولكي يتمم فتح المقاطعة، أرسل عمرو بن العاص قوة لفتح صبراتا Sabratha، ويسميها العرب صبرة أو سبْرت، وهي على ساحل البحر المتوسط، على بعد ٧٠ كيلومتراً إلى الغرب من طرابلس، وكانت ثاني معاقل البيزنطيين في المقاطعة.

يقول ابن عبد الحكم في بقية رواية الليث بن سعد عن فتح طرابلس:

"وكان من بسَبْرت متحصنين، فلما بلغهم محاصرةُ عمرو مدينة طرابلس، وأنه لم يصنع فيهم شيئاً، ولا طاقة له بهم، أَمِنوا، فلما ظفر عمرو بن العاص بمدينة طرابلس جرد خيلاً كثيفة من ليلته، وأمرهم بسرعة المسير، فصبحت خيله مدينة سَبْرت، وقد غفلوا وفتحوا أبوابها لتسرح ماشيتها، فدخلوها، فلم ينج منهم أحد، واحتوى جند عمرو على ما فيها"[٢].

---

١) فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٠-٢٣١.

٢) فتوح مصر والمغرب، ص٢٣١.

وكان عمرو بن العاص، إبان حصاره لطرابلس، وقبل أن يفتحها، قد أرسل بُسرَ بن أبي أرطأة إلى ودَّان جنوب طرابلس، وعلى بعد ٦٠٠ كيلومتر منها، ففتحها، لكي يؤمن جيش الفتح من جهة الداخل، يقول ابن عبد الحكم عن ودان:

"وكان عمرو بن العاص قد بعث إليها بُسراً، وهو محاصرٌ لأهل طرابلس، فافتتحها"[١].

وكما ترى، فتح مقاطعة تريبوليتانيا، أولى مقاطعات الإقليم البيزنطي الإفريقي، كان مواجهة خالصة بين جيش الفتح والروم البيزنطيين، ولا ذكر فيه على الإطلاق للبربر، لا بمقاومة ولا قتال ولا بأي شيء، وكأنهم غير موجودين، رغم أنهم جُل أهله وقاطنيه.



حملة عمرو بن العاص على برقة وطرابلس

---

١) فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٢.

وكان عمرو بن العاص إذا أتم فتح مدينةٍ أو منطقة، لا يتحرك إلى التي تليها إلا بعد إرسال العيون وتجريدات من الخيالة للاستطلاع، فتوقف بعد فتح مقاطعة تربوليتانيا، وأرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب يُعلمه بالوضع في إفريقية، ويستأذنه في التقدم لاستكمال فتحها، ويطلب المدد اللازم لمواجهة الجيش البيزنطي، فرفض عمر بن الخطاب، لأن سياسة عمرَ بن الخطاب واستراتيجيتَه كانت عدمَ التقدم في بلد أو إقليم إلا بعد أن تستتب الأمور في التي قبلها ويستقرَ الإسلام في قلوب أهلها، لكي لا تتشتت الجيوش وتنقطع خطوط الاتصال والمدد بينها وإليها.

يقول ابن عبد الحكم في فتوح مصر والمغرب:

"وأراد عمرو أن يوجه إلى المغرب، فكتب إلى عمر بن الخطاب، كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة، عن ابن لهيعة، عن ابن هريرة، عن أبي تميم الجيشاني، "أن الله قد فتح علينا أطرابلس، وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعةُ أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه، فعل، فكتب إليه عمر: "لا، إنها ليست بإفريقية، ولكنها المفرقة، غادرة مغدور بها، لا يغزوها أحد ما بقيت"[(١)].

وفي فتوح البلدان للبلاذري، رواية عن علي بن أبي طلحة تفسر كلام عمر بن الخطاب، وفيها:

"ولكنها مفرقة غادرة مغدور بها، وذلك أن أهلها كانوا يؤدون إلى ملك الروم شيئاً، فكانوا يغدرون به كثيراً"[(٢)].

---

١) فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٢.

٢) فتوح البلدان، ص٣١٦.

وبعد رفض عمر بن الخطاب تقدم جيش الفتح في إفريقية، عاد عمرو بن العاص إلى مصر، تاركاً حامية في برقة، يقودها عقبة بن نافع، وصارت المقاطعات البيزنطية التي تم فتحها في شمال إفريقيا تابعة لولاية مصر.

وفي ٢٦ ذو الحجة سنة ٢٣هـ/٧ نوفمبر سنة ٦٤٤م، توفي عمر بن الخطاب شهيداً في محرابه في صلاة الفجر، وكان قد ولَّى على مصر أميرين، عمروَ بنَ العاص على مصر السفلى، أو الدلتا، وعبدَ الله بنَ سعد بن أبي السرح على الصعيد.

وفي سنة ٢٥هـ/٦٤٥م، عزل عثمانُ بنُ عفان، عمروَ بن العاص، فصارت ولايةُ مصر وما يتبعها من شمال إفريقيا خالصةً لعبد الله بنِ سعد بن أبي السرح، فاتبع استراتيجية عمرو بن العاص، يقول ابن عبد الحكم:

"رجعٌ إلى حديث عثمان وغيره، قال: "فلما أمَّر عثمان بن عفان، عبدَ الله بنَ سعد بن أبي السرح، كان يبعث المسلمين في جرائد الخيل، كما كانوا يفعلون في أيام عمرو، فيصيبون من أطراف إفريقية ويغنمون، فكتب بذلك عبد الله بن سعد إلى عثمان، وأخبره بقربهم من حرز المسلمين، ويستأذنه في غزوها، فندب عثمان الناس لغزوها بعد المشورة منه لذلك، فلما اجتمع الناس أمَّر عليهم عثمانُ الحارثَ بن الحكم، على أن يقدموا على عبد الله بن سعد في مصر، فيكون إليه الأمر"[١].

ووصل الجيش القادم من المدينة إلى مصر، سنة ٢٧هـ/٦٤٧م، فضمه عبدُ الله بنُ سعد بن أبي السرح إلى جيشه، وتولى قيادته، ثم زحف به من مصر متجهاً إلى

---

١) فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٦.

عاصمة الإقليم الإفريقي، في مقاطعة بيزاجينا، وفي برقة انضم إليه عقبةُ بن نافع بقواته.

وكان جريجوريوس/جرجير الحاكمُ البيزنطي للإقليم الإفريقي، قد ترك عاصمة الإقليم، كارتاجو/قرطاج، وهي في مقاطعة إفريقية القنصلية، وتحصن في سوفِتولا Sufetula، ويسميها العرب سُبيطلة، في مقاطعة بيزاجينا، واتخذها عاصمةً له.

وكان خلفَ تركِ جرجوريوس لكارتاجو/قرطاج، وتحصنِه في سوفتولا/سبيطلة، سببان، أولُهما أن قرطاج تقع في الشمال، على البحر المتوسط، ويمكن لجيش الفتح الوصول إليها بسهولة ودون مواجهات عبر الطريق الساحلي، بينما سوفتولا/سبيطلة تقع في الوسط، بعيداً عن ساحل البحر المتوسط، وتحيط بها قبائل البربر المتحالفة معه، إلى جانب الجيش البيزنطي في الإقليم الإفريقي، الذي حشده من حوله في سبيطلة.

والسبب الثاني لنقل جريجوريوس عاصمةَ إقليم إفريقية من قرطاج إلى سبيطلة، أنه كان قد أعلن انفصاله عن الإمبراطورية البيزنطية، ونصب نفسه إمبراطوراً على الإقليم الإفريقي، فترك قرطاجَ الساحلية وفي متناول الإمبراطورية، إلى سبيطلة التي في الداخل، ومحاطة بالبربر المتحالفين معه، والوصول إليها عسير على الإمبراطورية.

وعند حصن عَقُوبة، قرب سبيطلة، التقى الجيشان، واندلع بينهما القتال عدة أيام، وانتهت المعركة بمقتل جريجوريوس وزهرةِ فرسان جيشه، وفرارِ من بقي من الجيش إلى الصحراء في الجنوب، وتشتيتِ القبائل المتحالفة معه، ثم حاصر جيش الفتح سبيطلةَ وفتحها، فلما رأت القبائل أن لا طاقة لها على قتال جيش الفتح الإسلامي،

عرضوا على عبد الله بن سعد بن أبي السرح أن يصالحوه على مالٍ وينصرف عنهم، فقبِل ذلك منهم، ورجع عنهم عائداً إلى مصر دون أن يترك عليهم والياً ولا حامية.

يقول ابن عبد الحكم:

"وهرب جيش جرجير، فبث عبدُ الله بن سعدٍ السرايا وفرقها، فأصابوا غنائم كثيرة، فلما رأى ذلك رؤساء أهل إفريقية، طلبوا إلى عبد الله بن سعد أن يأخذ منهم مالاً على أن يخرج من بلادهم، فقبِل منهم ذلك، ورجع إلى مصر، ولم يول عليهم أحداً، ولم يتخذ قَيراواناً"[١].

وفي كتابه: رياض النفوس في طبقات علماء القَيْروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسيرٍ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، يقول مؤرخ المغرب أبو بكر عبدُ الله بنُ محمد المالكي، وهو من مؤرخي القرن الخامس الهجري، إن الروم هم الذين صالحوا عبد الله بن سعد، يقول المالكي:

"فكتب عبد الله بن سعدٍ إلى خليفته بمصر يأمره أن يُنفِذ إليه مراكب في البحر يجعلُ فيها غنائم المسلمين، فأخذ خليفته فيما أمره به، فاتصل بالروم قصدُ ابن أبي سرح إياهم واستقبالُه حربَهم، فخافوه وراسلوه، وجعلوا له جعلاً على أن يرتحل بجيشه ولا يعترضوه بشيء، ووجهوا إليه مائة قنطار ذهباً، فأجابهم إلى ذلك"[٢].

---

١) فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٦-٢٤٧.

٢) مؤرخ المغرب أبو بكر عبدُ الله بنُ محمد المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء القَيْروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسيرٍ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج١، ص٢٧، تحقيق: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

والغنائم وما دفعته قبائل البربر، أو الروم، لا يفسر وحده انصرافَ عبدِ الله بنِ سعد بن أبي السرح وجيش الفتح عنهم، لأنهم لو تقدموا بعد انهيار الجيش البيزنطي، لكانت غنائمُهم أكبر.

فإليك دكتور حسين مؤنس، في كتابه: فتحُ العرب للمغرب، يفسر السر خلف تراجع جيش الفتح، بعد فتحه لسبيطلة:

"موقعة سبيطلة لم تفتح أمام العرب كلَ سهل تونس، بل جزءًا محدوداً منه، يحدده الخط الذي يمتد من سبيطلة إلى سوسة من الشمال، ثم من سبيطلة إلى قفصة جهة الشرق، وشريطٌ ساحلي ضيق محصور بين قابس وشط الجريد من الجنوب، ويلي ذلك في الشمال بلادٌ واسعة ملأى بالحصون والمسالح والمحارس، على اتصال دائم بالبحر، وتستطيعُ أن تقاوم مقاومة عنيفة، وربما خاف المسلمون إن هم تقدموا شمالاً أن ينحدر البربر بجموعهم من الغرب فيحصروهم من الجنوب، فانتصار عبد الله بن أبي سرح لا يمكن أن يسمى فتحاً لإفريقية، وكان لابد لإكمال هذا الفتح من السير إلى الشمال والاستيلاء على قرطاجنة، وجيش العرب كان صغيراً، ولابد أنه تناقص كثيراً بعد هذه الوقائع والمناوشات"[1].

ويؤكد لك صحةَ تفسيرِ دكتور حسين مؤنس، أن تعلم كم كان تعدادُ جيش الفتح والجيش البيزنطي والمتحالفين معه من قبائل البربر في معركة سُبيطلة، وهو ما نريدك أن تحلق بخيالك وتخمنه؟

تعداد جيش الفتح كان ٢٠ ألف مقاتل، يقول ابن عبد الحكم:

---

١) د/حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص٩٩، مكتبة الآداب بالجماميز، القاهرة، ١٩٤٧م.

"فكان جيش عبدِ الله بن سعدٍ ذلك عشرين ألفاً"[١].

بينما كان تعداد جيش البيزنطيين والبربر ١٢٠ ألف مقاتل!!

يقول ابن خلدون عن جريجوريوس:

"وكان ملكَ ما بين طرابلس وطنجة، وكانت دارُ ملكه سبيطلة، فلقُوا المسلمين في زهاء مائة وعشرين ألفاً، والمسلمون يومئذ في عشرين ألفاً"[٢].

والطرفة، ليست في أن يهزم جيش من عشرين ألفاً جيشاً من مائة وعشرين ألفاً، ويمزقَه ويشتتَه، وليس بينهما تفاوت في العدة ولا في نوعية السلاح، بل الطرفة أن ينتحب أحفاد المائة وعشرين ألفاً، ويلطمون، وهم يتهمون العشرين ألفاً الذين زحفوا نحو ألفي كيلومتر، إلى موقع المعركة، بأنهم جياع افترسوا المائة وعشرين ألفاً، وكأن هؤلاء المائة وعشرين ألفاً كانوا جيشاً من الأغنام والماعز!



حملة عبد الله بن سعد بن أبي السرح ومعركة سبيطلة

١) فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٧.

٢)) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٤١.

وفي سنة ٣٥هـ/٦٥٦م، استشهد عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وتلا استشهادَه نشوبُ الفتنة الكبرى واضطرابٌ في دولة الإسلام، فتوقفت الفتوح.

وكان الإمبراطور البيزنطي هيراكليوس كونستانز أو كونستانز الثاني، قد انتهز مقتل البطريرك جريجوريوس، الذي انفصل بالإقليم الإفريقي عن الإمبراطورية، فأرسل، سنة ٦٤٨م/٢٨هـ، جناديوس الثاني Gennadius II، بطريركاً جديداً إلى الإقليم الإفريقي، فأعاد عاصمة الإقليم إلى قرطاج، وأرهق قبائل البربر بالضرائب، التي زادها كونستانز الثاني في جميع أقاليم الإمبراطورية، من أجل توفير النفقات اللازمة لتمويل حروبه ضد قبائل اللومبارد التي غزت مقاطعات الإمبراطورية في إيطاليا وغرب أوروبا.

وزاد في سُخط القبائل التي كانت تدين بالمسيحية في إقليم شمال إفريقيا، أن الإمبراطور كونستانز الثاني، أصدر في السنة نفسها، ٦٤٨م/٢٨هـ، مرسوماً اسمه: نموذج الإيمان Typos، يحرم النقاش في مسألة طبيعة المسيح، في كل مكان من الإمبراطورية، ويُنزل عقوبة بأي أحد، فرداً أو مجموعة، يخوض في مسألة طبيعة المسيح، وهل هي واحدة أو مزدوجة، حتى لو كان قسيساً أو أسقفاً.

وفي السنة التالية، ٦٤٩م/٢٩هـ، عقد البابا مارتينوس الأول Martinus I، مجمعاً في كاتدرائية لاتِران Lateran، في روما، لمناقشة عقيدة الطبيعة الواحدة للمسيح، وحضره ١٠٥ من الأساقفة، من أقاليم الإمبراطورية المختلفة، ومنهم أساقفة الإقليم الإفريقي، وانتهى المجمع بإصدار مرسوم لاتران باعتبار مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح هرطقةً، وحرمانِ من يعتنقها، فرد الإمبراطور كونستانز الثاني على مرسوم الفاتيكان الذي يخالف نموذجه للإيمان، بإصدار مرسوم إمبراطوري باعتقال البابا مارتينوس الأول واقتيادِه سجيناً إلى القسطنطينية.

وتأخر تنفيذ المرسوم بسبب الاضطرابات في الإمبراطورية، ثم في سنة ٣٣هـ/٦٥٣م، قام الجيش البيزنطي في إيطاليا بتنفيذ المرسوم، فاقتحم الفاتيكان واعتقل البابا مارتينوس الأول، وساقه سجيناً إلى القسطنطينية.

وفي سنة ٤١هـ/٦٦١م، انقضت الفتنة في دولة الإسلام، واستردت وحدتها وقوتها، واستتب الأمر لمعاويةَ بنِ أبي سفيان، ففصل بلاد إفريقية التي تم فتحها عن مصر، وجعلها ولاية مستقلة، وأرسل معاوية بن حُدَيج والياً عليها وقائداً لجيشها.

وفي سنة ٤٥هـ/٦٦٥م خرج معاوية بن حُديج في ١٠ آلاف مقاتل، وسار بمحاذاة البحر المتوسط، متجهاً نحو الإقليم البيزنطي الإفريقي، حتى وصل إلى موضع اسمه قونِيَة، أو قمونية، في تونس، وهو الذي أقيمت فيه بعد ذلك مدينة القَيروان، وكان الإمبراطور كونستانز الثاني قد وصله نبأُ حركةِ الجيش الإسلامي بمحاذاة البحر المتوسط، فأرسل جيشاً من ٣٠ ألف مقاتل في سفن عبر البحر إلى الإقليم الإفريقي، والتقى الجيشان في سهلٍ قرب قُونيَة، وهذا هو وصف ابنِ خلدون لنتيجة اللقاء بينهما:

"وبعث معاويةُ بن أبي سفيان، معاويةَ بن حُديج السكوني من مصر لافتتاح إفريقية، سنة خمس وأربعين، وبعث ملك الروم من القسطنطينية عساكره لمدافعتهم في البحر، فلم تغن شيئاً، وهزمهم العرب ساحل أجم"[1].

وتقدم معاوية بن حُديج بالجيش وعسكر عند جبل اسمه القرن، قرب البحر، ثم أرسل قوة بقيادة عبد الله بن الزبير لملاحقة فلول الجيش البيزنطي، فلحقهم في هادرومِتَم Hadrumetum، أو مدينة هادريان، عاصمةِ مقاطعة بيزاجينا، وهي الآن

---

١) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٤١.

سوسة، وتقع على ساحل تونس الشرقي على البحر المتوسط، وبعد معاركَ صغيرة، فر البيزنطيون في سفنهم إلى البحر، وبذلك فُتحت هادرومِتَم أو سوسة.

وفي الوقت نفسه أرسل معاويةُ بن حُديج قوة أخرى بقيادة عبد الملك بن مرْوان، وكان في العشرين من عمره، إلى الحصن البيزنطي في كولوليس Couloulis، ويسميها العرب جلولاء، وبينها وبين موقع مدينة القَيروان الحالية خمسةٌ وثلاثون كيلومتراً، ففتحها، بعد أن فر البيزنطيون منها.

يقول ابنُ عبد الحكم في فتوح مصر والمغرب:

"ثم رجعٌ إلى حديث عثمانَ بنِ صالح وغيره، قال: "فانتهى معاوية بن حديج إلى قُونِيَة، وهي موضع مدينة قيروان، ثم مضى إلى جبل يقال له القرن، يعسكر إلى جانبه، وبعث عبدَ الملك بنَ مروان إلى مدينة يقال لها جَلُولاء، في ألف رجل، فحاصرها أياماً، فلم يصنع شيئاً، فانصرف راجعاً، فلم يسر إلا يسيراً حتى رأى في ساقة الناس غباراً، فظن أن العدو قد طلبهم، فكرَّ جماعة من الناس لذلك، فإذا مدينة جَلولاء قد وقع حائطها، فدخلها المسلمون وغنموا ما فيها"(١).

وفي سنة ٤٩هـ/٦٦٩م، ولَّى معاويةُ بن أبي سفيان، عقبةَ بن نافع، على إفريقية، ووجَّهه لاستكمال فتحها، فسار بالجيش، حتى وصل إلى ماكومادِس Macomades التي يسميها العرب مَغمداس، قرب سُورتوس، ويسميها العرب سُرت، وتقع على شاطئ البحر المتوسط في ليبيا، جنوب خليج سورتوس/سُرت، وهناك بلَغه أن أهل ودَّان، في صحراء فزان، قد نقضوا عهدهم، فترك عقبة بن نافع الجيش في مغمداس، واستخلف

١) فتوح مصر والمغرب، ص٢٦١.

عليه عمرَ بنَ علي القرشي، وزهيرَ بنَ قيس البلوي، واتجه هو في أربعمائة فارس إلى ودان فأعاد فتحها، ثم، كما يقول ابن عبد الحكم:

"سألهم عقبة: هل من ورائكم أحد؟، فقيل له: جَرَمَة، وهي مدينة فزان العظمى، فسار إليهم ثماني ليال من ودان، فلما دنا منها أرسل فدعاهم إلى الإسلام، فأجابوا ... ثم مضى على جهته من فوره إلى قصور فزان فافتتحها قصراً قصراً، حتى انتهى إلى أقصاها، فسألهم: هل من ورائكم أحد؟، قالوا: نعم، أهل خاوار، وهو قصر عظيم على رأس المفازة، في وعورة، على ظهر جبل، وهو قصبة كُوَّار، فسار إليهم خمس عشرة ليلة، فلما انتهى تحصنوا، فحاصرهم شهراً، فلم يستطع شيئاً، فمضى أمامه على قصر كُوَّار فافتتحها، حتى انتهى إلى أقصاها ... فسألهم: هل من ورائكم من أحد؟، فقال الدليل: ليس عندي بذلك معرفة ولا دلالة، فانصرف عقبة راجعاً"[1].

وبعد خمسة أشهر، عاد عقبة بن نافع والأربعمائة فارسٍ الذين فتح بهم فزان كلها، إلى جيشه الذي تركه في مَغمداس، فسار بالجيش نحو الغرب، وترك الطريق الأعظم، وهو الطريق الساحلي الذي يمر جنوب جبل نفُوسة، واتجه جنوبه إلى أرض مزاتة، وهم فرع من لواتة، ومنها إلى صِفر، ومن صِفر إلى كِداموس Cydamus، أقصى غرب ليبيا، ويسميها العرب غَدامس، ثم إلى كابسا Capsa، جنوبَ غرب تونس، ويسميها العرب قَفْصة، ومنها إلى كاستلا Castella، ومعناها الحصن أو القلعة، ويسميها العرب قَصطيلية، جنوب غرب تونس، ثم نزل عقبة بن نافع بالجيش عند وادٍ كثير الشجر والسباع والحيات، شمال تونس، وبعيداً عن السواحل، فأمر بتطهيره، واختط فيه مدينة القيروان، ومعناها المعسكرُ، أو مكانُ قرارِ الجيش، واستغرق تخطيطُ

---

١) فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٢-٢٦٣.

القيروان وبناؤها أربع سنوات، ثم أصبحت حاضرةَ الإسلام الأولى في شمال إفريقيا، وقاعدةَ الفتوحات في اتجاه الغرب.

يقول ابن عبد الحكم عن عقبة بعد عودته من فزان:

"فسار متوجهاً إلى المغرب، وجانَبَ الطريق الأعظم، وأخذ إلى أرض مزاتة، فافتتح كل قصر بها، ثم مضى إلى صِفر فافتتح قلاعها وقصورها، ثم بعث خيلاً إلى غدامس، فافتُتحت غدامس، فلما انصرفت إليه خيلُه سار إلى قفْصة فافتتحها، وافتتح قصطيلية، ثم انصرف إلى القَيْروان، فلم يعجب بالقَيْروان الذي كان معاوية بن حُديج قد بناه قبله، فركب والناسُ معه حتى أتى موضع القيروان اليوم، وكان وادياً كثير الشجر، كثير القطف، تأوي إليه الوحوش والسباع والهوام، وأمر الناس بالتنقية والخُطط، وركز رمحه وقال: هذا قَيْروانكم"[1].

وجميع المواضع التي فتحها عقبةُ بن نافع، بعد كِداموس/غدامس، تقع في مقاطعة بيزاجينا، من الإقليم الإفريقي البيزنطي، وكذلك الموضعُ الذي بنى فيه مدينة القَيْروان.

---

١) فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٤-٢٦٥.



حملة عقبة بن نافع على فزان وقفصة وقصطيلية وموضع القيروان

وما ينبغي أن تعلمه، لكي تدرك أن حملات دولة الإسلام على إفريقية، كانت جزءًا من مواجهتها الشاملة للإمبراطورية البيزنطية في كل مكان من العالم، وسعيِها لإزاحتها والحلول محلها، أن معاويةَ بنَ أبي سفيان، وهو يوجه عقبةَ بن نافع، في اتجاه شمال إفريقيا والإقليمِ البيزنطي الإفريقي، لاستكمال فتحه، وجه في السنة نفسها، وهي سنةُ ٤٩هـ/٦٦٩م، حملة برية لفتح القسطنطينية، عاصمةِ الإمبراطورية، بقيادة سفيانَ بنِ عوف، ثم أمده بجيش آخر بقيادة ابنه يزيدِ بن معاوية، فاخترق الجيش الأناضول، وفتح كل ما قابله من الحصون البيزنطية فيها، إلى أن وصل إلى القسطنطينية،

فحاصرها سنة كاملة، دارت إبانها عدةُ معاركَ بينه وبين الجيش البيزنطي، ثم رُفع الحصار، بسبب الشتاء ونقص المؤن، ولمنعة مدينة القسطنطينية، لأنها مدينة محاطة بالماء من جميع الجهات، ولا يمكن فتحها دون اشتراك حملة بحرية في الفتح.

وكان هذا حصارَ المسلمين الثاني للقسطنطينية، بعد حصارها الأول، في عهد عثمانَ بنِ عفان، سنة ٣٢هـ/٦٥٣م، وكان قائدُ الجيش في الحصار الأول معاويةَ بنَ أبي سفيان نفسَه، وهو والي الشام.

ونعود بك إلى إفريقيا، كان الخليفة معاوية بن أبي سفيان، قد ولّى مسلمةَ بنَ مخلد الأنصاريَ على ولاية مصر، في سنة ٤٧هـ/٦٦٧م، ثم في سنة ٥١هـ/٦٧١م، ضم ولاية إفريقية إلى مصر، فصارتا ولاية واحدة، أميرها مسلمةُ بنُ مخلد الأنصاريُ، فعزل مسلمةُ بن مخلد، عقبةَ بن نافع عن إفريقية، وولّى عليها أبا المهاجر دينار، وأوصاه مسلمة بن مخلد وهو متوجه إلى إفريقية، أن يُحسن عزل عقبةَ بنِ نافع.

وأبو المهاجر دينار كان من الموالي، وليس عربياً، وأعتقه مسلمةُ بنُ مخلد، وثمة اختلافٌ حول أصوله، وهل هو من الروم، أم من القبط، أم من البربر، وكما ترى لم يكن ذلك مانعاً لأن يوليَه مسلمةُ بنُ مخلد الأنصاري، مكان عقبةَ بنِ نافع الفهري القرشي، ولم يطعن أحد فيه، ولا أخذ على مسلمةَ بنِ مخلد أنه ولاه.

يقول ابن عبد الحكم:

"فخالفه أبو المهاجر، فأساء عزله، وسجنه وأوفره حديداً، حتى أتاه الكتاب من الخليفة بتخلية سبيله وإشخاصه إليه ... فلما قَدِم عقبة مصر، ركب إليه مسلمةُ بنُ مخلد، فأقسم له بالله لقد خالفه ما صنع أبو المهاجر، ولقد أوصيته بك خاصة"[1].

وهنا نتوقف بك، لننبهك إلى مسألة تلتبس على الكثيرين، خصوصاً في هذا الزمان، فقد رأيت أن أبا المهاجر دينار عزل عقبةَ بنَ نافع وأساء إليه، وقبلها كان الخلاف بين عليٍ ومعاوية، بل وكان بينهما قتالٌ ومعارك، ورغم ذلك ظلت الدولة كما هي، فلم يتغير شيء في هويتها وشرائعها، ولا في قيمها وأخلاقها وأزيائها، ولا في اتجاه حركة جيوشها ومن توالي ومن تعادي، فما تراه من خلاف أو معارك في تاريخ أمة الإسلام، لم يكن خلافاً بين هوياتٍ وتوجهاتٍ مختلفة للدولة والمجتمع، كالذي تراه في بلاليص ستان، بل كان بين الأشخاص، وهو الخلاف والخصومة والتنافس الذي يكون بين الأنداد وأبناء الجيل الواحد، في كل الأمم وجميع الأزمان.

وأمة الإسلام تدور مع هويتها وشرائعها، وليس مع الأشخاص، ولا يعنيها من الذي ينتصر في هذه الخصومة والتنافس بين الساسة والقادة، وإنما يعنيها أن المهمة الأولى للمنتصر، سواءًا كان هذا أو ذاك، أن يحافظ على دولة الإسلام وبلاده ومقدساته، وعلى منظومته العقائدية والتشريعية والأخلاقية، وعلى ميزانها في الولاء والعداء واتجاه حركة جيوشها، ولا تتحرك الأمة بعلمائها وعمومها في اتجاه السلطة، إلا إذا خالفت موازينها وبدلت منظومتها، أو فرطت في بلادها ومقدساتها ووالت أعداءها.

---

١) فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٥-٢٦٦.

فالدولة الأموية خلفت الدولة الراشدة، وجاءت بعد معاركَ بين مؤسسها معاويةَ بنِ أبي سفيان، وبين آخر الراشدين علي بن أبي طالب، فلما استقر لها الأمر حملت الرسالة التي كانت تحملها الدولة الراشدة هي هي، وسارت جيوشها في الاتجاه الذي كانت تسير فيه جيوش الراشدين هو هو، لتستكمل ما بدأته دولة الراشدين من فتوحات.

وكذلك أبو المهاجر دينار وعقبةُ بنُ نافع، فقد عزل أبو المهاجر عقبةَ بن نافع، ثم عاد عقبة، كما ستعلم، ففعل بأبي المهاجر مثل ما فعل به، دون أن يتغير أي شيء، فكل منهما يعزل الآخر أو يسجنه، ثم يتولى قيادة الجيوش، ويقودها في الاتجاه نفسه، لملاقاة العدو نفسه، ويبدأ أولَ خطوة له من الخطوة الأخيرة التي كان قد خطاها من عزله، ليستكمل ما فعله.

يقول ابن عبد الحكم:

"**وكان الناس قبل أبي المهاجر، كما حدثنا عبدُ الملك بنُ مسلمة، عن ابن لهيعة، وأحمدُ بن عمرو، عن بن وهب، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، يغزون إفريقية، ثم يقفلون منها إلى الفسطاط، وأول من أقام بها حين غزاها أبو المهاجر، مولى الأنصار، أقام بها الشتاء والصيف، واتخذها منزلاً، وكان مسلمة بن مخلد الذي عقد له على الجيش أحدَ الذين خرجوا معه إليها**"[1].

---

١) فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٦.

أبو المهاجر دينار يأسر كُسَيْلة:

ومع أبي المهاجر دينار كانت أولَ مواجهة حقيقية بين جيش الفتح الإسلامي والبربر، سنة ٥٥هـ/٦٧٤م، فحتى هذه اللحظة، كانت المواجهات بين جيش الفتح والجيش البيزنطي، ولا يظهر البربر في هذه المواجهات إلا عرضاً وعلى هامشها، كحلفاء للبيزنطيين، تفرض عليهم الإمبراطورية القتال مع جيشها، فعمرو بن العاص فتح المقاطعات الغربية من إقليم إيجبتي، ووصل إلى آخر حدود برقة، دون أن تتحرك لمواجهته قبائل لواتة التي تنتشر في الصحراء على طول الطريق الذي سار فيه، وعقبة بن نافع في حملته الأولى التي رأيت تفاصيلها، ترك الطريق الساحلي، وسار بجيشه جنوب جبل نفوسة، وهي بلاد قبائل نفوسة ومزاتة، دون أن يوجد في أي مصدر أن أحداً منها تصدى له، أو يكون ثَمة ذكرٌ لاسم قائد أو ملك لهم خاض في مواجهته معركة واحدة، وكذلك حين فتح الحصون البيزنطية، واحداً في إثر الآخر، حتى وصل إلى قفصة وقصطيلية والموضع الذي اختط فيه مدينة القَيْروان، فهذه هي بلاد قبائل نفزاوة وزواغة وهوارة، ولا ذكر لأنه كان قتالٌ أو معاركُ بينه وبين أي قبيلة منها.

يقول ابن خلدون:

"وأما إفريقية كلها إلى طرابلس، فبسائط فتح، كانت دياراً لنفزاوة وبني يِفرن ونفوسة، ومن لا يحصى من قبائل البربر ... وأما برقة فكانت داراً للواتة وهوارة وغيرِهم من البربر"[1].

١) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٣٤-١٣٥.

وتفسير ذلك، أن هذه القبائلَ جميعَها، من البُتْر، وهم البربر البدو الذي يعيشون على الرعي، وهم في عمومهم ناقمون على الحكم البيزنطي، ويتحركون بين مراعيهم في الداخل، بعيداً عن حصون البيزنطيين والسواحل التي يسيطرون عليها.

وبعد سحق الجيش البيزنطي في الإقليم الإفريقي، واستيلاءِ جيش الفتح على حصونه، فكل المواجهات التي ستراها بعد ذلك، هي بين جيش الفتح وفلولِ الجيش البيزنطي وبقاياهُ ومعه قبائلُ البربر من البرانس، وهي قبائل البربر الحضر التي ترومنت وتُحالف البيزنطيين، وتقاتل تحت رايات جيشهم، وعلى ديانتهم وعوائدهم.

يقول ابن خلدون:

"**ولما ملَكَ الإفرنجة بلاد البربر في ضواحيهم، صارو يؤدون لهم طاعةً معروفة، وخراجاً معروفاً مؤقتاً (له وقت محدد)، ويعسكرون معهم في حروبهم، حتى جاء الله بالإسلام، وزحف المسلمون على إفريقية، وملِكُ الإفرنجة يومئذ جرجير، فظاهره زناتة والبربر، حتى قتله المسلمون، وانفضت جموعهم، وافترقت رياستهم، ورجع الإفرنجة الذين كانوا يملكونهم إلى موطنهم وراء البحر، ولم يكن بعدها موضعٌ للقاء المسلمين يجمعهم، لما كانت غزواتهم لكل أمة من البربر في ناحيتها وموطنها، مع من تحيز إليهم من قِبل الفرنجة**"[1].

وأول مواجهة بين جيش الفتح الإسلامي بقيادة أبي المهاجر دينار، وبين قبائل البربر، ورأس البربر في هذه المواجهة، لا ذكر لها في كتب التاريخ العام المتقدمة، مثل تاريخ الطبري، ولا في كتب الفتوح العامة، مثل فتوح البلدان للبلاذري، ولا في

---

١) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٧، ص١١-١٢.

كتب فتوح إفريقية خاصة، مثل فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم، وفتوح إفريقية للواقدي، ومصدرها الرئيسي تاريخُ ابن خلدون، المتوفى سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٦م، ثم كتبُ التاريخ العام المتأخرة، مثل الكامل لابن الأثير، المتوفى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م، ومؤرخو المغرب الإسلامي المتأخرون، مثل محمد الباجي بن محمد المسعودي البوبكري، في كتابه: الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، وشهابِ الدين أحمد بن خالد بن محمد الناصري الجعفري السلاوي، في كتابه: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، وكلاهما من مؤرخي القرن الرابع عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي.

يقول ابن خلدون:

"كانت البطون التي فيها الكثرةُ والغلبُ من هؤلاء البربر لعهد الفتح، أَوْرَبة وهوارة وصنهاجة من البرانس، ونفوسة وزناتة ومَطْغرة ونفزاوة من البُتر، وكان التقدم لعهد الفتح لأَوْرَبة هؤلاء، بما كانوا أكثرَ عدداً وأشدَ بأساً وقوة ... وكانت رياسة البربر يومئذ في أَوْرَبة لكُسيلةَ بنِ لمزم، وهو رأس البرانس، ومرادفِه سكرديد بن رومي بن مازرت من أَوْرَبة، وكانا على دين النصرانية، فأسلما أول الفتح، ثم ارتدا عند ولاية أبي المهاجر، واجتمع إليهما البرانس، وزحف إليهم أبو المهاجر حتى نزل عيون تلمسان، فهزمهم، وظفر بكُسيْلة، فأسلم واستبقاه"[1].

---

١) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٩٢، ١٤٢.

وفي موضع آخر يقول ابن خلدون:

"ولما نزل أبو المهاجر تلمسان سنة ٥٥هـ، كان كُسيْلة بنُ لمزم مرتاداً بالمغرب الأقصى في جموعه من أَوْرَبة وغيرهم، فظفر به أبو المهاجر، وعرض عليه الإسلام فأسلم، واستنقذه وأحسن إليه وصحبه"[١].

وكل المواقع التي فتحها عقبة بن نافع، وكذلك موضعُ بناء القَيْروان، كانت في مقاطعة بيزاجينا من الإقليم الإفريقي، بينما هزم أبو المهاجر دينار، جموع البربر من البرانس، بقيادة كُسَيْلة بن لمزم، قرب تلمسان، التي تقع في مقاطعة موريتانيا القيصرية، ومكانُها في أقصى غرب الجزائر الحالية، وهو ما يعني أن أبا المهاجر دينار، عبر في طريقه إلى تلمسان حدود مقاطعة بيزاجينا، واخترق ثلاثَ مقاطعات أخرى في الإقليم الإفريقي، هي إفريقية القنصلية، ونوميديا، وموريتانيا السِتيفنزية، ووصل إلى أقصى غرب مقاطعة موريتانيا القيصرية، وتخومها مع مقاطعة موريتانيا الطنجية.

وبالتعبيرات العربية، أبو المهاجر دينار هو أول فاتح مسلم اجتاز المغرب الأدنى، واخترق المغرب الأوسط، وصار على تخوم المغرب الأقصى.

١) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٩٣.

وجيش أبي المهاجر دينار، الذي زحف بـه من القَيروان إلـى تلمسان، وهزم جموع البربر، التي لم يذكر أي مصدر كم كان عددهم، جيش أبي المهاجر كان عشرة آلاف فقط.



حملة أبي المهاجر دينار

وتلمسان هو اسم المدينة الذي تحولت إليه بعد الفتح الإسلامي بأكثَرَ من قرنين من الزمان، وهو اسم بربري، وفـي تفسيره أقوالٌ مختلفة، ليس هذا موضعَها، أما اسمها الروماني عندما هزم عندها أبو المهاجر دينار، البربرَ بقيادة كُسَيْلَة، فهو بوماريا Pomaria.

وهنا نذكرك بأمر، وننبهك إلى آخر، ونتوقف بك عند ثالث.

فأما ما نذكرك به، فهو أن أَوْرَبة والبربرَ البرانس، بقيادة كُسيْلة، كانوا يقاتلون ليسوا كبربر، ومن أجل استقلال بلادهم، كما يُوهم سفهاء الأمازيغ أكلةَ البرسيم الذين يتوجهون إليهم بكلامهم، بل كانوا يقاتلون كحلفاء للبيزنطيين، ومن أجل الحفاظ على تبعية بلادهم للإمبراطورية.

وهو ما يخبرك به المؤرخ الفرنسي إيميل جوتييه صريحاً:

"كـان مركـز قـوة كُسـيْلة، فـي المنـاطق الجبليـة الواقعـة بـين تـاهرت ووهـران، والتـي تتوسطها تلمسان، وهذه المنطقة كانت مركزَ البربر الذين تأثروا بالحضارة الرومانية، وأوربة ينتمون إلى البرانس، المرتبطين باللاتين والمسيحية Lié au Latin et au Christianisme، ولذا كان انتصار كُسيْلة على عقبة انتصاراً بيزنطياً"[١].

وأما ما ننبهك إليه، فهو أننا نتعمد إيراد الأسماء الرومانية للمقاطعات والمدن التي فتحها جيش الفتح، وللمواقع التي خاض معاركه عندها، لأن جميع المؤرخين العربِ قديماً وحديثاً يوردون في ما يكتبونه الأسماء العربية التي صارت لهذه المدن والمواقع بعد فتحها بسنوات وعقود، وأحياناً بقرون، وهو ما يشوه المسألة في ذهن من يطالع ما يكتبونـه، إذ يجعلـه يتـوهم أن هـذه المـدنَ بعـد الإسـلام هـي نفسُـها قبلـه، وأن حركـة الجيـوش الإسـلامية وفتحَهـا للمـدن، ليسـت سـوى غـزوٍ ومعـاركَ ومواجهـاتٍ عسـكرية محـض مـن أجـل الاسـتيلاء علـى المـدن والبلـدان، بينمـا المسـألةُ ليسـت كـذلك علـى الإطلاق، فالإسلام والفتح الإسلامي كان ثورة كاسحة عمَّت الشرق كلَه، وأخرجته من حضـارة إلـى أخرى، وغيرت هويتـه ولغتـه وتاريخـه وجغرافيتـه، وبنـاءَه الذهني والنفسـي، وفهمه للوجود والحياة، وأنسجته الاجتماعية، ومنظومتـه القيميـة والأخلاقيـة، حتـى عنـد من لم يتحول إلى الإسلام وبقي على ديانته من شعوب الشرق.

فالفتح العربي للشرق، واعتناقُ أهله للإسلام، كما يقول جوتييه:

"كـان ثـورة عارمـة، تخطـت الحـاجز بـين الشـرق والغـرب، ونجـد الثـورة الفرنسـية والثورة الروسية بالنسبة إليها متواضعتين جداً Mesquines"[٢].

---

1) Le Passé de L'Afrique du Nord, P268.
2) Le Passé de L'Afrique du Nord, P248.

كُسَيلة:

أما ما نريد أن تتوقف بك عنده، فهو كُسَيْلَةُ بنُ لمزم، رأسُ قبيلة أَوْرَبة وعمومِ قبائل البَرانس، وقائدُ البربر، إبان الفتح الإسلامي، والذي أسلم، حسب رواية ابن خلدون، عند بداية الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، ثم ارتد، ثم عاد فأسلم بعد أن هزم أبو المهاجر دينار قبائل البربر تحت قيادته في بوماريا أو تلمسان، فكُسَيْلة، كما ستعلم، هو الذي قتل عقبة بن نافع، في كمين نصبه له، وقد صار كُسَيْلة عند الطراز الجاهلي من الأمازيغ الذي عرَّفناك به رمزاً لمقامة الفتح الإسلامي وللهوية الأمازيغية المستقلة والمنفصلة عن العرب والعربية والإسلام.

ومن طرائف هذا الطراز من الأمازيغ، ونظائرهم في الشرق، أنهم يعبدون أصناماً يصنعونها بأوهامهم، ولا يعرفون حتى أسماءها، فالرجل الذي ينصبونه بطلاً قومياً، ويجعلونه رمزاً لهويتهم المستقلةِ والانفصالِ عن العرب والإسلام، لا أحد يعرف اسمه ولا اسم أبيه بالضبط، لا الأمازيغُ ولا غيرُهم!!

فكما أخبرناك من قبل عدة مرات، لا توجد مصادر أمازيغية لتاريخ البربر إبان الفتح ولا قبله، ولا يملك الأمازيغ ورقة واحدة خاصة بهم تقول إنه كان يوجد شخص بهذا الاسم أو له هذه السيرة، والمصادر البيزنطية لشمال إفريقيا تتوقف عند الفتح، والمصادر الوحيدة للفتح ومعاركه وأبطاله من الجانبين العربي والبربري، هي المصادر العربية، وهذه المصادر تكتب اسم قائد البربر هكذا: كُسَيْلَة، بضم الكاف، وفتح السين، وياء لينة ساكنة، مثل صيغة التصغير من كَسَلَة، والأمازيغ الذين يريدون الانفصال عن العرب والإسلام يتعمدون كتابته ونطقه بطريقة تخالف المؤرخين العرب، وكأن هذا هو ما سيصنع هُويتهم المستقلة، فيلفظونه: كَسِيلة، بفتح الكاف، وسين مكسورة، وياء

مدية جوفية، وهم ينقلون الاسم هكذا عن المؤرخين الغربيين، خصوصاً الفرنسيين، والمؤرخون الفرنسيون يكتبونه هكذا نقلاً عن بعض الوثائق البيزنطية قبل الفتح، وفيها يشيع اسم: كاسيلياس Caecilius، كاسم لبعض أعلام الإقليم الإفريقي تحت الحكم البيزنطي.

ولكن المؤرخ الفرنسي جابرييل كومب يقول في كتابه البربر ذاكرة وهوية، إن:

"الإغريق والرومان كانوا يشوهون أسماء البربر تشويهاً كبيراً"[١].

وفي الدراسة التي كتبها المؤرخ الفرنسي رينيه باسيه René Passet، عن كُسَيلة، في الطبعة الأولى من موسوعة الإسلام Encyclopedia of Islam، الصادرة سنة ١٩٢٧م، والتي قام على كتابة موادها وتحريرها نخبة من فطاحل المستشرقين الغربيين، والخبراء في تاريخ الشرق ولغاته، كتب اسم قائد البربر في عنوان دراسته، وفيها كلها: كُسَيْلَة Kusaila، بالضبط كما هو في المصادر العربية التي لا مصادر غيرها لسيرته[٢].

أما في الطبعة الجديدة من الموسوعة، والتي صدرت سنة ١٩٨٦م، فالذي أعاد كتابة دراسة الموسوعة عن كُسَيْلَة، المؤرخ التونسي محمد الطالبي، وقد خالف أصل الموسوعة ودراسة المؤرخ الفرنسي باسيه، وكتب اسم قائد البربر: كُسَيْلَة وكَسِيلة متجاورَيْن، في كل موضع يرد ذكره فيه، ودراسته في الطبعة الجديدة من الموسوعة عنوانها:

---

١) البربر ذاكرة وهوية، ص١٦٢.

2) René Passet: Kusaila B. Lemzem, The Encyclopedia of Islam, Vol.II, P1157, Prepared By A Number of Leading Orientalists, E. J. Brill Ltd, Leyden, Luzac Co., London, 1927.

"**كُسَيْلة بن لمزم، أو كَسِيلة Kusayla B. Lamzam Or Kasila**"[١].

والمؤرخ الفرنسي كلودو هاواد Claudot-Hawad، يقول في الموسوعة البربرية الفرنسية Encyclopédie Berbère، إن:

"**هذا الاسم يشيع في التراث الشعبي للطوارق، وينطق هكذا: كُسِيلة Koceila، (بكاف مضمومة، وسين مكسورة)**"[٢].

والمؤرخ المغربي دكتور عبدُ الله العروي، يقول في كتابه: مجمل تاريخ المغرب، إنه وصل من تحقيقه لطريقة نطق الأسماء البربرية المكتوبة باللاتينية، إلى أنه:

"**إذا طبقنا الطريقةَ نفسَها التي أوَّلْنا بها الأسماءَ البربريةَ المكتوبة باللاتينية، يجب أن نقرأ الاسمَ هكذا: كُسَيْلن**"[٣].

بينما يقول المؤرخ المغربي دكتور محمد الغرايب، في دراسته: الجانب الإنساني في المقاومة الأمازيغية، حالة كسيلة والكاهنة، إن:

"**الاسم الأمازيغي لكَسِيلا، هو أكْسل، وكُسَيْلةُ تحريف وتأنيث عربي له، للتحقير من شأنه، وأكسل معناه في الأمازيغية النمر**"[١].

---

1) M. Talbi: Kusayla B. Lamzam Or Kasila, The Encyclopedia of Islam, Vol.V, P517, Prepared By A Number of Leading Orientalists, New Edition, E. J. Brill, Leiden, 1986.

2) H. Claudot-Hawad: Koceila, Koseyla, Koseylata Dans la Tradition Orale Ttouarègue, Encyclopédie Berbère, Vol. XXVIII-XXIX, P4264 , Centre de Recherche Berbère, Inalco-Paris, 2008.

٣) دكتور عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، ج١، ص١٢٣، المركز الثقافي العربي، الطبعة الخامسة، الدار البيضاء، بيروت، ١٩٩٦م.

وما قاله الأمازيغي محمد الغرايب، كما لابد أدركت وحدك، ليس سوى فبركة وتحشيش من الطراز الأمازيغي، فإذا لم يكن عند الأمازيغ ورقةٌ واحدة خاصةٌ بهم عن شخص كُسْيلة، أو كُتب فيها اسمه بالأمازيغية، بل وإذا كان البربر في زمان الفتح ولمئات السنين قبله لا يقرؤون ولا يكتبون، وليس عندهم أبجدية مكتوبة أصلاً، ولم يُخلّفوا ورقة واحدة بخصوص أي شيء، فكيف إذاً عرف هذا الأمازيغي المزور أن كُسَيلة اسمه أكسل، ومن أين جاء بهذا الاسم؟

والحيْرة في اسم كُسَيْلة أو كَسِيلة، يواكبها حيرة أخرى في اسم أبيه، فهو عند ابن خلدون: لزم في مواضع ولمزم في مواضع أخرى، وفي تاريخ خليفة بن خياط: كيْزم، وعند ابن الأثير: لَمْرم، وفي الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لشهاب الدين الناصري السلاوي: أغز.

فتأمل هذه الحيْرة، وهذا التخبط، في نطق اسم بطل الطراز الجاهلي من الأمازيغ، حتى أن مجرد وجوده يصبح مشكوكاً فيه، ولا يقين عند أحد هل كان هناك حقاً شخصٌ بهذه السيرة، أم أنه أسطورة كغيرها من الأساطير التي يصنعها الأقوام الجاهليون عن آبائهم وأجدادهم، ثم تصير أصناماً يعبدونها ويعبدونهم، كما أخبرك علام الغيوب، والمطلع على ما تخفي الصدور:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ **(البقرة: ١٧٠).**

---

١) د/محمد الغرايب: الجانب الإنساني في المقاومة الأمازيغية، حالة كسيلة والكاهنة، دراسة ضمن كتاب: المقاومة المغربية عبر التاريخ أو مغرب المقاومة، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

ثم قارن هذه الحيرة والتخبط بالعرب الفاتحين الحاملين لراية الإسلام، الذين يصفهم سفيه الأمازيغ بأنهم بدو جياع خرجوا من جزيرة العرب بحثاً عن القوت، فهؤلاء العرب معروفةٌ ومسجلة أسماؤهم وأصولُهم وأنسابهم وسِيرُهم بالتفصيل، وليس فقط الحكام والقادة، بل حتى من كانوا من عمومهم وفي غمار الجيوش.

ونعود بك إلى أبي المهاجر دينار، فبعد أن هزم جموع البربر من أَوْرَبة والبرانس، أسلم كُسَيْلَة أو كَسِيلة للمرة الثانية، فاستبقاه أبو المهاجر، كما يقول ابن خلدون، وعامله بلطف وجعله في صحبته، وصار حليفه، ثم عاد به معه من تلمسان في مقاطعة موريتانيا القيصرية، إلى المنزل الذي اتخذه في مقاطعة بيزاجينا، وهو مدينة صغيرة بناها، بعد موقع القَيْروان بنحو ميلين، وسماها: تِكروان Tekrwan، وفي موسوعة الإسلام أن:

"**هذا الاسم بربري، ويرمز لخطة التوافق الكامل بين العرب والبربرFull Scheme of Arab Berber Agreement**"[1].

وفي سنة ٥٩هـ/٦٧٨م، وجَّه أبو المهاجر دينار جيشاً إلى شبه الجزيرة التي صارت تعرف بعد الفتح بنصف قرن، باسم: جزيرة شريك، نسبة إلى شريكٍ العبسي، أحدِ ولاة الدولة الأموية، واسمها الحالي جزيرةُ الوطن القِبلي، وموقعها أقصى شمال شرق تونس، وكان البيزنطيون يعسكرون فيها، ففتحها وأجلاهم عنها، وجعلها مكاناً لتمركز جيش الفتح.

وفي السنة نفسها غزا أبو المهاجر كارتاجو/قرطاج، عاصمة مقاطعة إفريقية القنصلية، والعاصمة البيزنطية للإقليم الإفريقي كله، وحاصرها دون ان يستطيع فتحها،

1)The Encyclopedia of Islam, New Edition, Vol.V, P518.

فرفع الحصار عنها، وتوجه إلى مدينة ميليفوم Milevum، في مقاطعة نوميديا البيزنطية، ففتحها، وهي الآن مدينة مِيلة، وتقع شمال شرق الجزائر.

عقبة وكُسَيْلة:

وفي سنة ٦٠هـ/٦٧٩م، توفي معاوية بن أبي سفيان، وخلفه ابنه يزيد، وفي سنة ٦٢هـ/٦٨١م، توفي مسلمة بن مخلد الأنصاري، فشكا عقبة بن نافع إلى يزيد بن معاوية عزله وما فعله أبو المهاجر دينار به، فأمر يزيد بعزل أبي المهاجر عن ولاية إفريقية، ورد عقبة بن نافع إليها.

يقول ابن عبد الحكم:

"وقدم على يزيد بن معاوية، بعد موت أبيه، فرده والياً على إفريقية ... ثم رجعٌ إلى حديث عثمان وغيره، قال: "فخرج عقبة بن نافع سريعاً بحَنَقه على أبي المهاجر، حتى قدم إفريقية، فأوثق أبا المهاجر في وثاق شديد، وأساء عزله، وغزا به معه إلى السوس، وهو في حديد"[١].

وعند ابن خلدون زيادة، وهي أن عقبة بن نافع فعل بكُسَيْلة، مثل ما فعل بأبي المهاجر، وأنه كان يصحبه في غزواته مقيداً، كأبي المهاجر.

---

١) **فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٧.**

يقول ابن خلدون:

"ثم جاء عقبة، بعد أبي المهاجر، فنكبه غيظاً على صحابته لأبي المهاجر ... وكُسَيْلة أثناء هذا كله في اعتقاله، يجمعه معه في عسكره سائر غزواته"[1].

ويقول ابن خلدون، في موضع آخر:

"وكان في غزاته يستهين كُسَيْلة ويستخف به، وهو في اعتقاله، وأمره يوماً بسلخ شاة بين يديه، فدفعها إلى غلمانه، وأراده عقبة على أن يتولاها بنفسه، وانتهره، فقام كُسَيْلة إليها مغضباً ... وبلغ ذلك أبا المهاجر، فنهى عقبة عنه، وقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألف جبابرة العرب، وأنت تعمد إلى رجلٍ جبار في قومه، بدار عزه، قريبِ عهد بالشرك، فتفسدَ قلبه، وأشار عليه بأن يوثق منه، وخوَّفه فتكه، فتهاون عقبة بقوله"[2].

ولا مراء في أن ما رآه أبو المهاجر دينار وقاله، هو الصواب، وأن ما فعله عقبة بن نافع، خطأٌ سياسيٌ فادح، وسببه أن عقبة بن نافع قضى حياته كلها غازياً في الجيوش ومرابطاً في الحصون، وكان فارساً مغواراً، وفاتحاً عظيماً، وقائداً عسكرياً فذاً، ومكانه في الطبقة الأولى من الفاتحين وقادة الجيوش، في تاريخ العالم كله، ولكنْ السياسةُ تختلف عن العسكرية وقيادة الجيوش، وعقبة بن نافع لم يكن سياسياً محنكاً، وهذا

١) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٤٢.

٢) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٩٣.

الطراز من الرجال تبرز مواهبه وقدراته الفذة في قيادة الجيوش والغزو والفتوح، ولكنه لا يصلح للحُكم وسياسة الأقوام والشعوب.

وما فعله عقبة بن نافع خطأ سياسي فادح، ولكنه ليس جريمة، وكل القادة العسكريين ينكلون بمن قاتلوهم إذا ظفروا بهم، فهكذا فعل النازيون بالروس والفرنسيين، عند اجتياحهم لروسيا وفرنسا، وهكذا فعل بهم الروس حين دخلوا برلين، والمحاكم العسكرية التي أقامها الحلفاء في نورمبرج، بعد الحرب العالمية الثانية، قضت باعدام من اعتقلوهم من قادة الجيوش النازية، وقررت أن مجرد انتمائهم للنظام النازي الذي قاتل الحلفاء جريمة حرب.

عقبة على شواطئ الأطلنطي:

ونعود بك إلى فتوح عقبة بن نافع، فبعد أن وصل إلى إفريقية، استخلف على القَيْروان زهيرَ بن قيس البلوي، في خمسة آلاف رجل، وخرج غازياً إلى الغرب في خمسة آلاف آخرين، ومعه أبو المهاجر دينار وكُسَيْلَةُ في قيودهما، ولا توجد تفاصيل عن هذا الغزو وما واكبه من أحداث، في كتاب: فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم، ولا في فتوح البلدان للبلاذري، ولا في كتب التاريخ العام المتقدمة، ومصدرها الرئيسي مرةً أخرى تاريخُ ابنِ خلدون، ثم كتبُ التاريخ العام المتأخرة، ومؤرخو المغرب الإسلامي المتأخرون.

بل إن ابنَ عبد الحكم في كتابه: فتوح مصر والمغرب، والبلاذري في كتابه: فتوح البلدان، نصا على أن عقبة بن نافع حين غزا السوس، لم يتعرض له أو يقاتله أحدٌ من أهلها وقبائلها، يقول ابن عبد الحكم:

"وأهل السوس بطن من البربر، يقال له أنْبِية، فجوَّل في بلادهم، لا يعرض له أحد ولا يقاتله"[١].

ويقول البلاذري:

"فلما ولِي يزيد بْن معاوية رد عقبة بْن نافع عَلَى عمله، فغزا السوس الأدنى وهو خلفَ طنجة، وجوَّل فيما هناك لا يعرض له أحد ولا يقاتله، فانصرف"[٢].

أما المؤرخون المتأخرون مثل ابنِ خَلدون، فيقول:

"ثم استفتح حصون الفرنجة، مثل باغاية ولمبِس، ولقيه ملوك البربر بالزاب وتاهرت، فغضهم جمعاً بعد جمع، ودخل المغرب الأقصى، وأطاعته غُمَّارة، وأميرهم يومئذ يليان، ثم أجاز إلى وليلي، ثم إلى جبال درن، وقتل المصامدة، وكانت بينه وبينهم حروب، وحاصروه بجبال درن، ونهضت إليهم جموع زناتة، وكانوا خالصة للمسلمين منذ إسلام مغراوة، فأفرجت المصامدة عن عقبة، وأثخن فيهم حتى حملهم على طاعة الإسلام، ودوخ بلادهم، ثم أجاز إلى بلاد السوس لقتال من بها من صنهاجة، أهل اللثام، وهم يومئذ على دين المجوسية، ولم يدينوا بالنصرانية، فأثخن فيهم، وانتهى إلى تارْوَدانت، وهزم جموع البربر، وقاتل مسوفة من وراء السوس، وساسهم، وقفل راجعاً"[٣].

---

١) فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٧.

٢) فتوح البلدان، ص٣٢٠-٣٢١.

٣) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٤٢.

وعبارات ابن خلدون هذه، عن غزو عقبة بن نافع للمغرب الأقصى، هي التي يتوقف عندها الطراز الجاهلي المزور من الأمازيغ، فيسقطون كل ما أورده فيها من أخبار ووقائع، وما تحمله من دلائل، ويلتقطون منها كلمة واحدة فقط، هي: "**وأثخن فيهم**"، ثم يفسرونها بأن المقصود بها ارتكاب مجازر ومذابح في حق البربر الآمنين المسالمين، ليبدأوا بعد ذلك في الانتحاب واللطم على ما ارتكبه عقبة بن نافع من جرائم في الأمازيغ.

فأولاً: عبارة: "**وأثخن فيهم**"، أخذها ابن خلدون من قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ (الأنفال: ٦٧)، والآية أنزلت في غزوة بدر، أي في قتال وبخصوص المقاتلين، ولا تعني كما يلويها الضالون من الأمازيغ، مجازر ولا مذابح بحق الآمنين المسالمين من غير المقاتلين.

وسوف تتيقن أن هذا هو ما كان يعنيه ابن خلدون، إذا تفحصت عبارته كلها، ولم تتجمد عند كلمة: "**وأثخن فيهم**"، كما يفعل المزورون، فابنُ خلدون لا يتكلم عن مجازر وقتل، بل عن حروب وقتال من الجانبين، فالمصامدة الذين يقول ابنُ خلدون إن عقبة أثخن فيهم، وبعبارة ابن خلدون نفسه :"**كان بينه وبينهم حروب، وحاصروه بجبال درن**"، وبلاد السوس أجاز عقبة إليها: "**لقتال من بها من صنهاجة**"، وليس لقتلهم، وتارْوَدانت: "**هزم عندها جموع البربر**"، أي كان بينه وبينهم معارك وقتال، ومسوفة: "**قاتلهم**"، لا أنه قتلهم.

ولو كان جيش يتكون من عشرات الألوف، أو مئاتِها، وفني عن آخره، ولم يبق منه رجل واحد، فلا يسمى ذلك مجازرَ ولا مذابح، طالما أنهم قُتلوا في ميادين القتال وهم يقاتلون ممسكين بسلاحهم.

وقد كان الأَوْلى بالطراز الجاهلي المزور من الأمازيغ، أن ينكسوا رؤوسهم خزياً وعاراً، وأن يتبرؤوا من آبائهم وأجدادهم، لا أن يتطاولوا على عقبة بن نافع، ولا أن يبكوا وينتحبوا، ولا أن يعبدوا هؤلاء الآباء والأجداد الضالين، فعقبة بن نافع دوخ بلادهم، وعبرها من أدناها إلى أقصاها، وقطع مسافة تزيد على أربعة آلاف كيلومتر، وهو يهزم جموعهم التي لا يحصيها عد، كما يقولُ ابن خلدون، كل ذلك بخمسة آلاف رجل فقط، وعلى بعد آلاف الكيلومترات من بلادهم، والهزيمة عار على من انهزموا، وهم يسألون عنها، وليس من انتصروا.

يقول ابن عبد الحكم عن تعداد جيش عقبة بن نافع، الذي فتح به جميع المقاطعات البيزنطية في شمال إفريقيا، وبلادَ البربر في المغرب الأوسط والأقصى:

"**حدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا ابن لهيعة، عن بَحير بن ذاخر المُعافري، قال: "... فقدم إفريقية، ثم خرج إلى قتال البربر، وهم خمسة آلاف رجل من أهل مصر**"[1].

وليس هذا فقط، بل كانت جموع البربر هذه التي لا يحصيها عدٌّ، وهزمها عقبة بن نافع بخمسة آلاف رجل، تقاتل ومعها حلفاؤها من الروم أو الفرنجة، كما يقول ابن خلدون:

"**ولقيه ملوك البربر ومن انضم إليهم من الفرنجة بالزاب وتاهرت، فهزمهم**"[2].

---

١) فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٩.

٢) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٩٣.

بل إن مؤرخ المغرب أبا بكر المالكي، وهو سابق على ابنِ خلدون بقرنين ونصف من الزمان، يقول في كتابه: رياضُ النفوس، إن مواجهات عقبة بنِ نافع كانت أصلاً مع الروم، ثم استعان الروم بالبربر عند تاهرت، ومن بعدها صار مواجهاته معهم.

يقول المالكي:

"ثم سار لا يدافعه أحد حتى انتهى إلى باغاي، والروم يهربون من طريقه يميناً وشمالاً، فحاصرهم وقد اجتمعوا بها، فقاتلهم قتالاً شديداً، ثم انهزم العدو، فقتلهم قتلاً ذريعاً وغنم أموالهم، ثم رحل فنزل على لميس/لمبس، وهي من أعظم مدائنهم، وانضم إليها من حولها، فخرجوا إليه في عِدة لا يعلمها إلا الله عز وجل، حتى ظن المسلمون أنه الفناء، فضرب الله عز وجل في وجوه الروم، فقاتلهم إلى باب حصنهم، ثم رحل يريد الزاب، فسأل عن أعظم مدينة لهم، فقيل له: أذنة، وهي دار ملكهم، فلما بلغهم قدوم المسلمين هربوا إلى حصونهم وإلى الجبال ... فلما صلى عقبة الصبح أمر المسلمين بقتالهم، فقاتلوهم قتالاً ما رأى المسلمون مثله قط، حتى يئس المسلمون من أنفسهم، ثم أعطاهم الله عز وجل النصر والظفر، فانهزم الروم وقُتل فرسانهم وأهل النكاية والبأس منهم، واستولت الهزيمةُ على بقيتهم، وفي هذه الغزوة ذهب عز الروم من الزاب وذلوا وتحصنوا، ورحل عقبة منها يريد المغرب حتى نزل تاهرت، فاستغاث الروم بالبربر، فأجابوهم ونصروهم ... فالتقى المسلمون معهم فقاتلوهم قتالاً شديداً، فولّى الروم هاربين، ومات منهم ومن البربر عدد عظيم"[1].

---

١) رياض النفوس في طبقات علماء القَيْروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسيرٍ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج١، ص٣٥-٣٧.

وثانياً: كلام ابنِ خلدون صريح، في أنه ليست كلُ قبائل البربر في المغرب الأقصى، كانت على الجاهلية والضلال، بل منها قبائل أسلمت، وكانت مسلمة مخلصة من قبل وصول عقبة بن نافع إليها، وظلت مسلمة حتى بعد أن حوصر، فجموع زناتة، كما يقول ابن خلدون: "**كانوا خالصة للمسلمين منذ إسلام مغراوة**"، وحين حاصر المصامدة عقبةَ بنَ نافع وجيشَه في جبال درن نهضت إليهم هذه الجموع من زناتة، وكانوا هم الذين سعوا في تخليصه من الحصار.

بل ويقول ابن خلدون في موضع آخر من تاريخه، إن غُمَّارة، وهم من المصامدة، ومواطنهم، كما يقول ابن خلدون: "**في جبال الريف، بساحل البحر الرومي**"، غُمَّارة تحالفوا مع عقبة بن نافع، وكانوا هم الذين دلوه على بلاد السوس، وكيف يصل إليها، يقول ابن خلدون:

"**وأذعن له يُليان أمير غُمَّارة وصاحب طنجة ولاطفه وهاداه، ودله على عورات البرابرة، وردأه بوليلي والسوس وما والاهما من مجالات الملثمين، فغنم وسبى، وانتهى إلى ساحل البحر وقفل ظافراً**"[1].

وفي رواية مؤرخ المغرب، ابنِ عذارِي المُراكُشي، المتوفى سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، تفصيل لما أجمله ابن خلدون، يقول ابنُ عذارِي في كتابه: البيان المُغرِبُ في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب:

"**حتى صار بأحواز طنجة، وكان بها ملك اسمه يُليان، يملك منها إلى ساحل المجاز بسبْتة، وكان من أشرافِ ملوك الروم وأعاظمهم، وذوي العقل والدهاء فيهم،**

---

١) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٩٣.

فلما قاربه، وجَّه إليه أرساله، وبعث له بهدية عظيمة، وسأل منه المسالمة، وأن ينزل على حكمه، فقبل منه، واجتمع به، وسأله عن الأندلس، فعظَّم عليه أمرها، وقال له: "قد تركت الروم وراء ظهرك، وما أمامك إلا البربر، وهم مثلُ البهائم، لم يدخلوا في دين النصرانية ولا غيرها، وهم يأكلون الجيف، ويأكلون مواشيهم، ويشربون دماءها من أعناقها، فقد كفروا بالله العظيم فلا يعرفونه، ومعظمهم من المصامدة"، قال: فسار عقبة نحو المصامدة بعد فتحه طنجة"[١].

والفرق بين الروايتين، ان ابن خلدون ينسب يُليان إلى البربر، بينما يقول ابنُ عذاري إنه كان ملكاً على البربر شمال المغرب الأقصى، من قِبل الروم.

وإذا تأملت رواية ابن عذاري، ووصفَ يُليان للبربر في وسط المغرب الأقصى وجنوبِه في زمن الفتح الإسلامي، ثم إذا تأملت في زمانك هذا تهجم سفيه الأمازيغ أحمد عصيد على النبي والقرآن، وما يدعو إليه من إباحة الزنى والشذوذ باسم حقوق الإنسان والحرية الشخصية، وكذلك الشعار الذي يضعه أحمق آخر على قناته ويقول فيه إنه كافر مغربي، إذا تأملت هذا وذاك، فهل تجد فرقاً حقيقياً بين وصف يُليان للبربر إبان الفتح وبين الطراز الجاهلي من الأمازيغ في زمانك، سوى أنهم صاروا يرتدون أزياء الفرنجة ويرطنون بلسانهم؟!

وثالثاً: إذا تفحصت عبارات ابن خلدون، ستجد فيها أن حملة عقبة بن نافع، بدأت بفتح حصون الفرنجة، في باغاية، ولَمبِس، وهي باجاي Bagae ولمبيزيس

١) مؤرخ المغرب أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي: البيان المُغرِبُ في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج١، ص٥١، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

Lambaesis البيزنطيـة، ومواقعهـا فـي جبـال الأوراس، شـمال شـرق الجزائـر، فـي مقاطعة نوميديا البيزنطية، أو المغرب الأوسط في العهد الإسلامي، وبعد أن فتحها عقبة بن نافع وجد ملوك البربر متأهبين للقائه وقتاله في جموعهم، ولكنه هزمهم جمعاً بعد جمع، في تاهرت والزاب، وتاهرت موقعها شمال الجزائر، في الهضبة المنبسطة التي بين جبال أطلس التل شمالاً، وجبال أطلس الصحراء جنوباً، والزاب جنوبَ جبال أطلس الصحراء، وتاهرت والزاب كانتا ضمن مقاطعة موريتانيا القيصرية في الإقليم البيزنطي الإفريقي، وبعد ذلك دخل عقبة بن نافع المغرب الأقصى، وأطاعته غُمَّارة، وغُمَّارة كما أخبرناك فرع من المصامدة، ومواطنهم في جبال الريف التي تمتد بمحاذاة سواحل البحر المتوسط، بين نهر مَلفا Malva، أو مَلَوية في الشرق، ومضيق جبل طارق في الغرب، وفي العهد البيزنطي كانت تقع في مقاطعة موريتانيا الطنجية، ومن جبال الريف جاز عقبة بن نافع إلى وَلِيلي، وهي فولوبيليس Volubilis، إحدى مدن مقاطعة موريتانيا الطنجية، وموقعها في وسط المغرب، شمالَ مدينة مكناس، ومن وَليلي إلى جبال درن، وهي سلسلة جبال الأطلس الكبير، وتمتد من سواحل المحيط الأطلنطي في مقاطعة موريتانيا الطنجية غرباً إلى تخوم مقاطعة موريتانيا القيصرية شرقاً، وموقعها الآن في وسط المغرب، بين سواحلها الأطلنطية وحدودها مع الجزائر، ومن جبال درن اتجه عقبة بن نافع بجيشه إلى بلاد السوس، التي تمتد في جنوب المغرب بين جبال الأطلس الكبير شمالاً، وجبال الأطلس الصغير جنوباً وشرقاً، والمحيط الأطلنطي غرباً، وانتهى عقبة بن نافع إلى تارْوَدانت، في وادي السوس، جنوبَ غرب المغرب، ثم واصل عقبة بن نافع حملته إلى مسوفة، وهم بطن من صنهاجة، ومواطنهم إلى الغرب من بلاد السوس، وليس بعدهم سوى المحيط الأطلنطي.

فإذا تأملت المسار الذي رسمه ابن خلدون لحملة عقبةَ بنِ نافع، ستجد أنه بعد أن فتح الحصون البيزنطية في باجاي ولمبيزيس، شمال شرق الجزائر، بمحاذاة البحر المتوسط، ترك الساحل والطرق الساحلية، وسار بحملته نحو الداخل وإلى الغرب، وقطع مسافة تزيد على أربعة آلاف كيلومتر، بحساب خروجه بالجيش من مصر، وتزيد على ألفي كيلومتر، بحساب حركته من القيروان، وفي تضاريس شديدة الوعورة، وبين سلاسل لا تنتهي من الجبال والمرتفعات والمضايق، وهو يقاتل جموع البربر الذين خرجوا للقائه، جمعاً بعد جمع، إلى أن وصل إلى شواطئ المحيط الأطلنطي، كل ذلك بجيش قَوامه خمسة آلاف رجل، إذا لم نخصم منهم من استشهدوا أو أصيبوا في المعارك، وهو ما يجعلها حملة مذهلة، لا نظير لها في تاريخ العالم، من جهة اتساع رقعتها قياساً إلى قلة عدد جيشها.

وبعد أن لم يبق أمام عقبة بن نافع سوى المحيط، يقول ابن عبد الحكم:

"**فلما انتهى عقبة إلى البحر، أقحم فرسه فيه حتى بلغ نحره، ثم قال: "اللهم إني أشهدك ألا مجاز، ولو وجدت مجازاً لجزت**"[(١)].

ولا يوجد في أي مصدر من مصادر فتوح المغرب، أو الفتوح الإسلامية، أو كتب التاريخ العام المبكرة، ما يحدد البقعة أو المِنطقة التي وصل عندها عقبة بن نافع إلى المحيط وخاض فيه بفرسه، وأشهد الله عز وجل على أنه قد وصل بالرسالة إلى البحر، وأنه لو كان يعلم مجازاً فيه لجازه إلى ما خلفه، غير أن مؤرخ المغرب، ابنَ عذارِي المُراكُشي، يقول في كتابه: البيان المُغرِب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب:

---

١) **فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٨.**

"ثم سار عقبة من إيجْلي، حتى وصل إلى ماسة، فأدخل فرسه في البحر"[1].

وماسة التي ذكر ابنُ عذاري أن عقبة بن نافع أدخل فرسه في البحر عندها، بلدة تطل على المحيط الأطلنطي، وتقع في أقصى غرب المغرب، وباتجاه الجنوب، عند مصب نهر السوس في المحيط، جنوب مدينة أغادير بخمسة وخمسين كيلومتراً.

وها هنا نتوقف لننبهك ونسألك سؤالاً: هذا الرجل الذي تراه ترك البلدان التي فتحها وراءه، وخاض بفرسه في المحيط، وأشهد الله أن لا مجاز، وأنه لو كان يعلم مجازاً لجاز المحيط إلى ما خلفه، هذا الرجل، هل هو صاحب رسالة يحملها ويسعى لإبلاغها، سواءاً وافقت على هذه الرسالة أو خالفتها، أم هو مجرد بدوي جائع خرج من الصحراء بحثاً عن القوت، كما يقول سفيه الأمازيغ أحمد عصيد، ومن كان على شاكلته من الطراز الجاهلي من الأمازيغ؟!

ولأن عقبة بن نافع وجيش الفتح يحملون رسالة ويسعون لإبلاغها، يقول مؤرخ المغرب ابن عذاري المُراكُشي، في كتابه: البيان المغرب، إن عقبة بن نافع:

"أتى تارنا، ثم إلى موضع شاكر، وترك به صاحبه شاكراً، فسُمي باسمه"[2].

وشاكر، الذي تركه عقبة، هو أحد أصحابه، وقد تركه مع جماعة من أصحابه ليعلموا من أسلم من البربر الإسلام وشعائره، بعد أن بنى لهم مسجداً ورباطاً، قرب بلدة إيغود، عند مصب نهر تانسيفت، ولا زال المسجد والرباط موجودين إلى اليوم، ويحمل اسم شاكر: رباط شاكر، وقد جدد بناءهما يعلى بن مصلين الرجراجي، في القرن

١) البيان المُغرِبُ في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج١، ص٥٣.
٢) البيان المُغرِبُ في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج١، ص٥٣.

الخامس الهجري، وموقعه الحالي قرب مدينة شيشاوة، بين مدينتي مُراكُش وآسَفي، أو صافي.

ونعود بك إلى مسيرةِ عقبة بن نافع، فبعد أن وصل عقبة إلى المحيط، كما يقول ابن عبد الحكم:

"انصرف إلى إفريقية، فلما دنا من ثغرها أمر أصحابه، فافترقوا عنه، فأُخذ على مكان يقال له تهودة، فعرض له كسيلة بن لمزم في جمع كثير من الروم والبربر، وقد كان بلغه افتراق الناس عن عقبة، فاقتتلوا اقتتالاً شديداً، فقُتل عقبة ومن كان معه ... وكان مقتل عقبة بن نافع وأصحابه في سنة ثلاث وستين"[1].

وبتفصيل أكثر يقول ابن خلدون:

"فلما قفل من غزاته وانتهى إلى طُبْنة، صرف العساكر إلى القيروان أفواجاً، ثقة بما دوخ من البلاد، وسار إلى تهودة أو بادس ليُنزل بها الحامية، فلما نظر الفرنجة طمعوا فيه، وراسلوا كُسَيْلة بنَ لمزم، ودلوه على الفرصة فيه فانتهزها، وراسل بني عمه ومن تبعهم من البربر، واتبعوا عقبة وأصحابَه رضي الله عنهم، حتى إذا غشَوه بتهودة ترجل القوم، وكسروا أجفان سيوفهم، ونزل الصبر، واستلحم عقبة وأصحابه رضي الله عنهم، ولم يُفلت منهم أحد، وكانوا زهاء ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين استشهدوا في مصرع واحد، وفيهم أبو المهاجر، كان صحبه في اعتقاله،

---

١) فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٧، ٢٦٩.

فأبلى رضي الله عنه في ذلك اليوم البلاء الحسن، وأجداث الصحابة عنهم، أولئك الشهداء، عقبة وأصحابه، بمكانهم ذلك من أرض الزاب لذلك العهد"[1].

فأولاً: طُبنة، التي سمح عقبة بن نافع عندها لجيشه بالانصرف عنه وأن يسبقه إلى القَيروان، هي مدينة تُبوني البيزنطية Tubunae، في مقاطعة موريتانيا الستفنزية، وموقعها في وادي بيطام، في جبال الأوراس، وسَط شرق الجزائر، جنوب ستيفز، أو سطيف الحالية، وتَهودة التي استشهد عندها عقبة بن نافع والثلاثمائة من أصحابه، هي تبوديوس البيزنطية Thabudeos، في مقاطعة موريتانيا القيصرية، وموقعها قرب مدينة بِسكرة الحالية، في هضبة الزاب، شرق الجزائر، وجنوب جبال الأوراس، ومرور عقبة بن نافع بطُبْنة وتهودة يعني أنه مرة أخرى اختار طريق رجوعه من المغرب الأقصى إلى القَيروان، عبر الجبال والصحاري والتضاريس الوعرة في الوسط، وفي قلب بلاد البربر.

وثانياً: منذ أن ترك عقبة بن نافع المحيط الأطلنطي، في أقصى غرب المغرب، إلى أن وصل إلى تهودة، في أقصى شرق الجزائر، سار آمناً، دون أن يجد مقاومة أو يدخل في مواجهات مع البربر.

وأما طُبنة وتهودة التي استشهد عندها عقبة بن نافع، فتقعان في جبال الأوراس، معقل قبائل أَوْرَبة والبرانس، التي رأسها كُسيْلة بن لمزم، وهي كما رأيت وترى القوة الوحيدة بين البربر التي واجهت عقبة بن نافع وجيوش الفتح الإسلامي مواجهة حقيقية،

---

١) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٩٣-١٩٤.

ومواجهتهم لعقبة ولجيش الفتح كانت لتَرَوْمِنهم وحلفهم مع الروم أو الفرنجة، كما رأيت في عبارة ابن عبد الحكم:

"**فأُخذ على مكان يقال له تهودة، فعرض له كُسَيْلة بن لمزم في جمع كثير من الروم والبربر**"[1].

بل إن عبارة ابن خلدون صريحة في أن الروم أو الفرنجة، هم الذين نبهوا كُسَيْلة إلى انصراف جيش عقبة، وهم الذين حرضوه وقومه لينتهز هذه الفرصة، ويشترك معهم في القضاء على عقبة ومن بقي معه من أصحابه، يقول ابن خلدون:

"**وسار إلى تهودة أو بادس ليُنزل بها الحامية، فلما نظر الفرنجة طمعوا فيه، وراسلوا كُسَيْلة بن لمزم، ودلوه على الفرصة فيه فانتهزها، وراسل بني عمه ومن تبعهم من البربر**"[2].

ورواية مؤرخ المغرب، أبو بكر المالكي، في كتابه: رياض النفوس، فيها تفسير كيف عرف الروم بانصراف جيش عقبة بن نافع، إذ كان لهم حصن في تهودة، يقول المالكي:

"**ومال في خيله يريد تهودة، لينظر قدر ما يكفيها من الخيل، فلما انتهى إليها نظر الروم إلى قلة من معه من الخيل، فأغلقوا باب حصنهم ورموه بالحجارة**

---

١) فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٧.

٢) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٩٣.

وشتموه، وهو يدعوهم إلى الله ورسوله، فلما توسط البلاد نزل، فبعثت الروم إلى كَسَيلة الأَوْربي، فأعلموه بقلة من معه، فجمع له جمعاً كبيراً من الروم والبربر"[١].

فالمعركة التي استشهد فيها عقبة بن نافع، كما ترى، كانت في حقيقتها جزءًا من المقاومة البيزنطية للفتح الإسلامي، كما نقلنا لك سابقاً عن المؤرخ الفرنسي إيميل جوتييه.

وثالثاً: في رواية ابن خلدون، والمؤرخين الإسلاميين عموماً، وهي كما علمتَ المصدر الوحيد للفتح الإسلامي وما عاصره من تاريخ البربر، فيها فجوة بخصوص كُسَيْلة بن لمزم، فهذه المصادر تتفق على أن عقبة بن نافع حين حضر بالجيش من مصر إلى إفريقية، اعتقل أبا المهاجر دينار وقيده، وكذلك فعل بكُسَيْلة، وأنه كان يصطحبهما معه مقيَدين إبان حركته بالجيش ومعاركه.

يقول ابن خلدون:

"ثم جاء عقبة، بعد أبي المهاجر، فنكبه غيظاً على صحابته لأبي المهاجر ... وكُسَيْلة أثناء هذا كله في اعتقاله، يجمعه معه في عسكره سائر غزواته"[٢].

وباستثناء هذه العبارة لا يظهر كُسَيْلةُ ولا يرد له ذكر في مشاهد حركة عقبة بن نافع ومواجهاته مع البربر، منذ أن تحرك من القَيروان إلى أن وصل إلى المحيط، ولا

---

١) رياض النفوس في طبقات علماء القَيْروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسيرٍ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج١، ص٣٩.

٢) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٤٢.

في طريق عودته، ثم فجأة يظهر كُسَيْلَةُ حراً بعيداً عن عقبة وجيشه، والروم يراسلونه ويتحالفون معه على الانقضاض على عقبة، بعد أن سرح جيشه، كما يقول ابن خلدون:

"**وسار عقبة إلى تهودة أو بادس لينُزل بها الحامية، فلما نظر الفرنجة طمعوا فيه، وراسلوا كسيلة بن لمزم، ودلوه على الفرصة فيه فانتهزها، وراسل بني عمه ومن تبعهم من البربر**"[١].

وهذه الفجوة بين كُسَيْلَة مقيداً في صحبة عقبة بن نافع، وبين ظهوره طليقاً في قومه وتحالفه مع الروم، لا تفسير لها سوى أن كُسَيْلَة تمكن من الهرب من جيش عقبة إبان زحفه على المغرب الأقصى، ولَحِق بقبيلته.

وهو ما تؤكده روايةٌ لابن عبد الحكم، وفيها أنه:

"**وخرج ابن الكاهنة البربري على إثر عقبة، كلما رحل عقبة من منهل دفنه ابن الكاهنة، فلم يزل كذلك حتى انتهى عقبة إلى السوس، ولا يشعر بما صنع البربري ... وانصرف راجعاً والمياه قد عُوِّرَت، وتعاونت عليه البربر**"[٢].

ومعنى عبارة ابن عبد الحكم، أن ابن الكاهنة كان يتبع عقبة بن نافع في حركته، فكلما مر عقبة بعين ماء ثم تحرك بالجيش، غوَّر ابن الكاهنة العين، لكي لا يجدها عقبة في طريق رجوعه.

---

١) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٩٣.

٢) فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٨.

وابن الكاهنة في روايات ابن عبد الحكم، هو نفسه كُسَيْلة، كما تعلم من رواية تالية، يقول فيها ابن عبد الحكم:

"**ثم زحف ابن الكاهنة إلى القَيروان، يريد عمر بن علي وزهير بن قيس، فقاتلاه قتالاً شديداً، فهُزم ابن الكاهنة وقُتل أصحابه**"[1].

والذي زحف إلى القَيروان، بعد استشهاد عقبة، وقاتله عمر بن علي وزهير بن قيس، هو كُسَيْلة بلا خلاف.

ورابعاً: وقفة مع الطراز الجاهلي المزوِّر من الأمازيغ، فهذا الطراز من الأمازيغ ينتحبون ويلطمون، وهم يصرخون بجرائم عقبة بن نافع والفتح الإسلامي، ويصفون الضالين من آبائهم الذين قُتِلوا في المعارك وهم يقاتلون ممسكين بسلاحهم بأنهم ضحايا، بينما هم في الحقيقة قَتَلوا في هذه المعارك ثلاثة من قادة جيش الفتح وولاة إفريقية، عقبة بن نافع نفسه وأبو المهاجر دينار، كما رأيت، وزهير بن قيس، كما سترى.

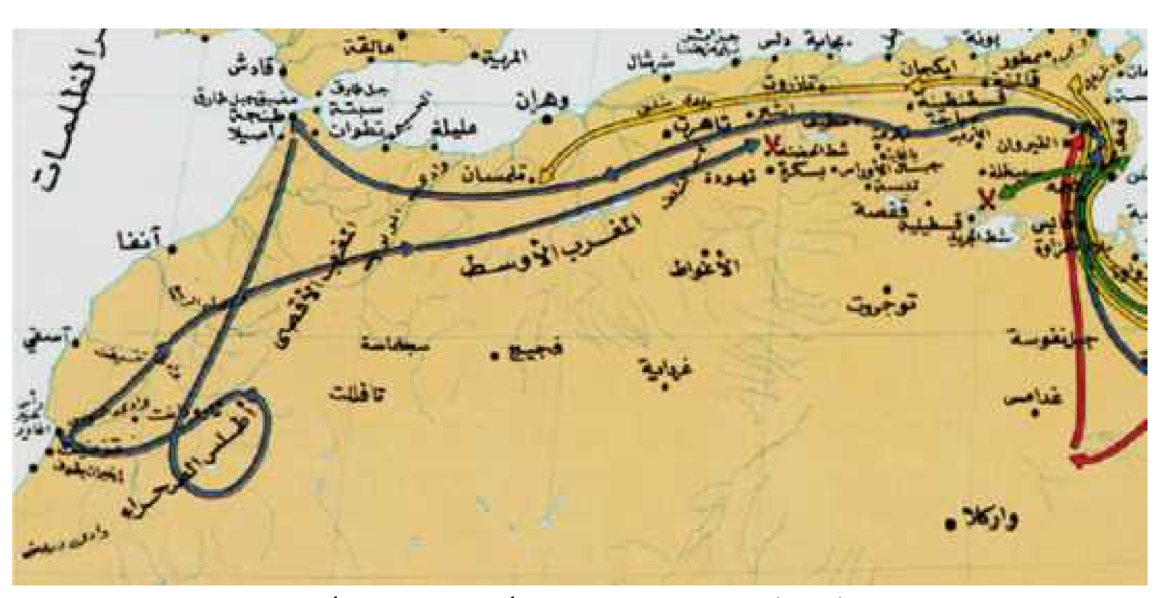
ورغم أن عقبة بن نافع استشهد مع ثلاثمائة من رجاله في مواجهة الآلاف من البربر والروم المتحالفين معهم، فنحن لا ننتحب ولا نلطم مثل الجاهليين من الأمازيغ، بل تتيه أمة الإسلام كلها وتفخر أن عقبة ومن معه كسروا أغمدة سيوفهم، واختاروا القتال مع قلة عددهم، وهم يوقنون أن خِيارهم يعني استشهادهم، ولم يفكروا في الاستسلام، ولا في الفرار أو الاختباء، وقد كان يمكنهم ذلك في المضايق والكهوف التي تمتلئ بها الجبال، واستشهدوا في ساحة القتال، مقاتلين مقبلين غير مدبرين.

---

١) فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٩.

وقاتل عقبة بن نافع وخَصمه ومنافسه أبو المهاجر دينار معاً جنباً إلى جنب، واستشهدا معاً ودفنا في بقعة واحدة، بل إن مؤرخ المغرب أبا بكر المالكي ينقل في كتابه: رياض النفوس، رواية وفيها أن عقبة بن نافع لما رأى جموع البربر:

"نزل عن فرسه، وصلى ركعتين، وقال: "أطلقوا أبا المهاجر"، ثم قال له: "إلحق بالمسلمين وقم بأمرهم وأنا أغتنم الشهادة"، فقال: "وأنا أغتنم الشهادة مثلك"، فكسر كل واحد منهما غمد سيفه، وكسر المسلمون أغماد سيوفهم، وقاتلوا حتى قُتلوا جميعاً"(١).



حملة عقبة بن نافع على المغرب الأوسط والمغرب الأقصى

---

١) رياض النفوس في طبقات علماء القَيْروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسيرٍ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج١، ص٤٢.

وبعد استشهاد عقبة بن نافع، يقول ابن عبد الحكم:

"خرج عمر بن علي وزهير بن قيس بالجيش إلى مصر، لاجتماع ملأ البربر، وأقام ضعفاء أصحابهما ومن كان خرج معهما من موالي إفريقية بأطرابلس"[1].

وفي تفصيل ذلك يقول ابن خلدون:

"وكان زهير بن قيس البلوي بالقَيروان، وبلغه الخبر، فخرج هارباً، وارتحل بالمسلمين ونزل برقة، وأقام بها ينتظر المدد من الخلفاء، واجتمع إلى كُسَيْلَة جميع أهل المغرب من البربر والفرنجة، وزحف إلى القَيروان، فخرج العرب منها، ولحقوا بزهير بن قيس، ولحق بها أصحاب الذراري والأثقال، فأمَّنهم ودخل القَيروان، وأقام أميراً على إفريقية ومن بقي بها من العرب خمس سنين، وقارنَ ذلك مهلك يزيد بن معاوية، وفتنة الضحاك بن قيس، وحروب آل الزبير، فاضطرب أمر الخلافة بعض الشيء، واضطرم المغرب ناراً، وفشت الردة في زناتة والبرانس"[2].

فتنبه مرة أخرى، أن الذين اجتمعوا إلى كُسَيْلَة، ليس البربر فقط، بل البربر والفرنجة أو الروم، وأن الردة فشت في زناتة والبرانس، أي أنهم كانوا مسلمين، أو على الأقل قسم منهم كان قد أسلم.

وعن السنوات التي سيطر فيها كُسَيلة على شمال إفريقيا، يقول المؤرخ الفرنسي موريس كوديل، في كتابه: غزوات العرب الأولى لشمال إفريقيا:

---

١) فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٩.

٢) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٩٤.

"لم تكن هناك حكومة منظمة، إذ حل كُسَيلة وقبيلته البربرية محل العرب، وضربوا خيامهم عند العيون التي كان يستقي منها العرب، ولم يكن كُسَيلة يحكم بالمعنى الذي نفهمه من كلمة الحكومة، بل كانت حكومته ببساطة احتلالاً آخر Gouverné Par Koseilah il est Simplement Occupé "[1].

وبعد أن سيطر كُسَيْلَة وقبائل البرانس البربر على إفريقية خمس سنوات، يقول ابن عبد الحكم:

"لما ولي عبد العزيز بن مروان مصر، كتب إلى زهير بن قيس، وزهير يومئذ ببرقة، يأمره بغزو إفريقية، فخرج في جمع كثير، فلما دنا من قونية/قمونية، وبها عسكر كُسَيْلَة بن لمزم، عبأ زهير لقتاله، فخرج إليه، فاقتتلا، فقتل كُسَيْلَة ومن معه، ثم انصرف زهير قافلاً إلى برقة"[2].

ويقول ابن خلدون:

"ثم استقل عبد الملك بن مروان، وأذهب بالمشرق آثار الفتنة، وكان زهير بن قيس مقيماً ببرقة منذ مهلك عقبة، فبعث إليه بالمدد، وولاه حرب البرابرة والثأر بدم عقبة، فزحف إليها في آلاف من العرب، سنة سبع وستين (٦٨٦م)، وجمع كُسَيْلَة البرانس وسائر البربر، ولقيه بجيش على ميس من نواحي القَيروان، واشتد القتال بين الفريقين، ثم انهزم البربر، وقتل كُسَيْلَة ومن لا يحصى منهم، واتبعهم العرب إلى مرماجنة، ثم إلى ملوية، وذل البربر ولجأوا إلى القلاع والحصون، وحدَّت شوكة أَوْربة من بينهم، واستقر جمهورهم بديار المغرب الأقصى، فلم يكن بعدها لهم ذكر،

---

1) Les Premières Invasions Arabes Dans L'Afrique du Nord, P142.

٢) فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٩.

واستولوا على مدينـة وليلـي بـالمغرب، كانـت مـا بـين موضـع فـاس ومكناسـة، بجانـب جبل زرهون"[١].

وفـي كتـاب: ريـاض النفـوس، لمـؤرخ المغـرب أبـي بكـر المـالكي، أن المكـان الـذي وقعت عنده المعركة، وقتل كُسَيلة، اسمه مَمَّس، وهي مَمَّا البيزنطية Mamma، وتقع في مقاطعة بيزاجينا البيزنطية، ومكانها الحالي شمال غرب تونس، قرب القيروان.

وكما ترى، وكما لا نمل من تذكيرك، كُسَيْلة ومن معه من البربر، هُزموا وقُتِلوا وهم يقاتلون فـي المعارك وفـي ميادين القتال، وبعد أن كانوا قد انتصـروا هم وحلفاؤهم من الروم وقتلوا من قتلوه من جيش الإسلام، لا أنهم ضحايا مسالمون وقتلهم جيش الفتح وهم عزل غفل في بيوتهم وخيامهم، كما يقول الطراز الجاهلي المزور من الأمازيغ في لطمه وانتحابه.

وبعد انتصار زهير بن قيس، ومقتل كُسَيْلة، يقول مؤرخ المغرب أبو بكر المالكي:

"**فتح شِقبَنارية وقلاعاً آخرى، ورجع وقد فزع منه جميع الروم والبربر**"[٢].

وشِقبَنارية التـي فتحهـا زهيـر بـن قيس، قبـل أن يعود إلـى برقـة، هـي سيكّا فينيريـا البيزنطيـة Sicca Veneria، ومكانهـا الآن مدينـة الكـاف/الكيـف شمال غرب تونس، على بعد أربعين كيلومتراً من حدودها مع الجزائر.

---

١) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٩٤.

٢) رياض النفوس في طبقات علماء القَيْروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسيرٍ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج١، ص٤٧.



حملة زهير بن قيس ومعركة ممس

وبعد أن عاد زهير بن قيس إلى برقة، يقول البلاذري في فتوح البلدان:

"بلغه أن جماعة من الروم خرجوا من مراكب لهم فعاثوا، فتوجه إليهم في جريدة خيل فلقيهم، فاستشهد ومن معه، فقبره هناك"[١].

وفي تفصيل ذلك، يقول مؤرخ المغرب ابن عذاري المُراكُشي، في كتابه: البيان المُغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب:

"فبلغ الرومَ خروجُه من إفريقية إلى برقة، فأمكنهم ما يريدون، فخرجوا إليها في مراكب كثيرة وقوة عظيمة، فأغاروا على برقة، فأصابوا فيها سبياً كثيراً، وقتلوا ونهبوا، ووافق ذلك قدوم عسكر زهير إلى برقة من إفريقية، فأُخبر زهير بخبرهم، فأمر عسكره بالمسير إلى الساحل، طمعاً أن يدرك سبي المسلمين فيستنقذهم، فأشرف على الروم، وإذا هم في خلق عظيم. فلم يقدر على الرجوع، وقد استغاث به المسلمون وصاحوا، والروم يدخلونهم في المراكب، فنادى بأصحابه النزول فنزلوا،

١) فتوح البلدان، ص٣٢١.

وكانوا أشراف العابدين ورؤساء العرب المجاهدين، فنزل الروم إليهم وتلقوهم بعدد عظيم، والتحم القتال، وتكاثرت عليهم الروم، فقتل زهير رضي الله عنه وأشراف من كان معه من العرب"[1].

وكما ترى لم يكن الروم البيزنطيون، يقاتلون مع حلفائهم من بربر أَوْرَبة والبرانس في جبال إفريقية وصحاريها فقط، بل كانوا يرابطون في سفنهم في البحر المتوسط، ويأتيهم المدد عبره، وكات لهم أعين تراقب جيش الفتح وتأتيهم بأخبار تحركاته، وأخبرتهم بخروج زهير بن قيس بالجيش من برقة، كما أخبرتهم من قبل بانصراف جيش عقبة بن نافع عنه، فانتهزوا الفرصة مرة أخرى، وهاجموا برقة وأسروا من فيها من المسلمين، ووافق ذلك عودة زهير بن قيس، فنهض لمواجهة الروم وتخليص الأسرى من المسلمين، ولما وصل إلى الروم فوجئ بعظم عددهم، ومثل عقبة بن نافع قبله، اختار مواجهة جحافل الروم على التراجع، وقاتلهم ومن معه حتى استشهدوا جميعاً، ودفنوا حيث استشهدوا.

الكاهنة في مواجهة أبنائها:

ولما وصل نبأ استشهاد زهير بن قيس، وهو ثالث من يُقتل من ولاة إفريقية وقادة جيوش الفتح، إلى الخليفة عبد الملك بن مروان، وراعه اهتزاز هيبة الدولة وجيشها في إفريقية، يقول مؤرخ المغرب ابن عذاري المُراكُشي:

"**في سنة ثمان وسبعين، اختار عبدُ الملك بن مروان حسانَ بن النعمان، وقدمه على عسكر فيه أربعون ألفاً، أقامه أولاً في مصر بالعسكر، عُدة لما يحدث، ثم كتب**

١) البيان المُغرِبُ في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج١، ص٥٩.

إليه يأمره بالنهوض إلى إفريقية، ويقول له: "إني قد أطلقت يدك في أموال مصر، فأعط من معك، ومن ورد عليك، وأعط الناس، واخرج إلى بلد إفريقية على بركة الله وعونه"(١).

ويقول ابن عبد الحكم:

"فمضى في جيش كبير حتى نزل أطرابلس، واجتمع إليه بها من كان خرج من إفريقية وأطرابلس، فوجه على مقدمته محمد بن بكير، وهلال بن ثروان اللواتي، ففتح البلاد وأصاب غنائم كثيرة، وخرج إلى مدينة قرطاجنة، وفيها الروم"(٢).

ويقول ابن خلدون:

"فزحف حسان بن النعمان الغساني إلى إفريقية سنة تسع وسبعين، ودخل القيروان، وغزا قرطاجنة، وافتتحها عنوة، وذهب من بقي بها من الإفرنجة إلى صِقلية، وإلى الأندلس"(٣).

وبعد قرطاجنة، يقول ابن عذاري المُراكُشي:

"بلغه أن النصارى اجتمعوا، وأمدهم البربر بعسكر عظيم في بلاد صطفورة وبنزرت، فرحل إليهم حسان حتى لقيهم، وقاتلهم حتى هزمهم، وقتل الروم والبربر قتلاً ذريعاً، وترك عليهم أعنة خيله، فما ترك من بلادهم موضعاً إلا وطئه، ولجأ

---

١) البيان المُغرِبُ في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج١، ص٦٠.

٢) فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٩-٢٧٠.

٣) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٤٣.

الروم خائفين هاربين إلى مدينة باجة، فتحصنوا بها، وهرب البربر إلى إقليم بونة، وانصرف حسان إلى القَيروان"[١].

فبعد أن استشهد زهير بن قيس، وخلت إفريقية من جيش الإسلام، عاد إليها الروم، وكانت أولى مواجهات حسان بن النعمان وجيشه الذي أمده به عبد الملك بن مروان، ولم تشهد إفريقية مثله من قبل، مع الروم في قرطاجنة وصطفورة وبنزرت، وجميعها في تونس.

ولا ينبغي أن يكون قد فاتك ما أخبرك به ابن عبد الحكم في روايته، من أن أحد الذين وضعهم حسان بن النعمان على قيادة جيشه في إفريقية، هلالُ بن ثرْوان اللواتي، أي أن أحد قادة جيش الفتح الإسلامي كان من بربر لواتة، فإذا تعجبت من ذلك، فسيزداد عجبك، وأنت تواصل المسيرة معنا، حين ترى في جيش الفتح وهو يقاتل كاهنة البربر، اثني عشر ألفاً من البربر، وعلى رأسهم وقيادتهم أبناء هذه الكاهنة نفسها!!

وسوف يزول عجبك هنا وهناك، حين تعي ما أخبرناك به من قبل، من أن الإسلام ليس فيه التمييز بين الناس بالأعراق والأجناس، ولا بالأنساب والأحساب، ولا بالأشكال والألوان، فمن أسلم وتكلم العربية فهو منا، وعربي باللسان، ويصل إلى ما يستحقه وتوصله إليه كفاءته وقدراته، أياً كان جنسه أو قومه أو بلده أو شكله ولونه، وحتى لو كان يقاتلنا قبلها بيوم واحد، كما رأيت في أبي المهاجر دينار، الذي صار قائداً لجيش الفتح ووالياً على إفريقية، وهو في أصله من نصارى مصر، وكما ترى في حسان بن النعمان، وهو غساني من الشام، وأسلم بعد فتحها، وكما رأيت وترى في البربر الذين

---

١)) البيان المُغرِبُ في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج١، ص٦١-٦٢.

صاروا من قادة جيش الفتح، وكما ترى في روايةٍ لابن عبد الحكم يخبرك فيها أن حسان بن النعمان بعد أن قضى على الكاهنة وأتم فتح إفريقية، ذهب بنفسه إلى دمشق ليخبر عبد الملك بن مرْوان بفتوحاته، وفي طريقه، كما يقول ابن عبد الحكم:

"**فلما مر حسان ببرقة، أمَّر على خراجها إبراهيم بن النصراني**"[1].

ورواية ابن عبد الحكم، بعد ذلك، تؤكد لك ما مر بك في عدة مواضع من قبل، من أن مِن البربر مَن أسلموا وحسن إسلامهم، ومنهم من صار يعرف العربية، ويسمون أبناءهم بها، بعد أن استقر العرب في إفريقية واختلطوا بهم، منذ فتح برقة، سنة ٢٢هـ/٦٤٣م، وخصوصاً بعد أن خط عقبة بن نافع القَيروان، سنة ٤٩هـ/٦٦٩م.

وأما الطراز الجاهلي من البربر، بعد استشهاد زهير بن قيس، فيقول ابن خلدون:

"**افترق أمر البربر وتعدد سلطانهم في رؤسائهم، وكان من أعظمهم شأناً يومئذ الكاهنة، دِهيا بنت ماتية بن تيفان، ملكة جبل أوراس، وقومُها من جراوة، ملوكِ البُتر وزعمائهم**"[2].

وعن الكاهنة دِهيا وقبيلتها جراوة يقول ابن خلدون، في مواضع مختلفة من تاريخه:

"**وكان موطن جراوة بجبل أوراس، وكانت رياستهم للكاهنة دِهيا، وكان لها بنون ثلاثة، ورثوا رياسة قومهم عن سلفهم، رُبوا في حجرها، فاستبدت عليهم وعلى**

---

١) فتوح مصر والمغرب، ص٢٧٢.

٢) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٤٣.

قومهم بهم، وبما كان لها من الكهانة ومعرفة بغيب أحوالهم وعواقب أمورهم، فانتهت إليها رياستهم ... وكانت جراوة قبيلة الكاهنة يدينون باليهودية"[1].

ورغم أن الكاهنة دهيا كانت على اليهودية، هي وقبيلتها، إلا أنه كان لها صنم تعبده وتحمله معها، يقول مؤرخ المغرب أبو بكر المالكي في كتابه: رياض النفوس:

"**ومعها صنم عظيم كانت تعبده، يُحمل بين يديها على جمل**"[2].

وبعد أن هزم حسان بن النعمان الروم، وأخرجهم من قرطاجنة وما حولها، يقول ابن عبد الحكم:

"**غزا الكاهنة، وهي إذ ذاك ملكة البربر، وقد غلبت على جُل إفريقية، فلقيها على نهر يسمى اليوم نهر البلاء، فاقتتلوا اقتتالاً شديداً، فهزمته، وقتلت من أصحابه، وأسرت منهم ثمانين رجلاً، وأفلت حسان ونفذ من مكانه إلى أنطابلس**"[3].

ويقول ابن خلدون:

"**ثم سأل عن أعظم ملوك البربر، فدلوه على الكاهنة وقومها جراوة، فمضى إليها حتى نزل وادي مَسكيانة، وزحفت إليه، فاقتتلوا اقتتالاً شديداً، ثم انهزم المسلمون، وقُتل منهم خلق كثير، وأُسر خالد بن يزيد القيسي، ولم تزل الكاهنة والبربر في**

---

١) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٧، ص١٢، ج٦، ص١٤٠.

٢) رياض النفوس في طبقات علماء القَيْروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسيرٍ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج١، ص٥٤.

٣) فتوح مصر والمغرب، ص٢٧٠.

اتباع حسان والعرب حتى أخرجوهم من عمل قابس، ولحق حسان بعمل طرابلس، ولقيه كتاب عبد الملك بالمقام، فأقام وبنى قصوره، وتعرف لهذا العهد به، ثم رجعت الكاهنة إلى مكانها، وأقامت في سلطان إفريقية والبربر خمس سنين"[١].

ووادي مَسكيانة، الذي هزمت فيه الكاهنة حسان بن النعمان وجيشه، يقع في الجزء الشرقي من جبال الأوراس، وموقعه الحالي شمال شرق الجزائر.

ثم، يقول ابن خلدون:

"بعث عبد الملك إلى حسان بالمدد، فرجع إلى إفريقية، وخرَّبت الكاهنة جميع المدن والضياع، وكانت من طرابلس إلى طنجة ظلاً واحداً في قرى متصلة، وشق ذلك على البربر، فاستأمنوا لحسان، فأمَّنهم، ووجد السبيل لتفريق أمرها"[٢].

فكاهنة البربر التي ملكت إفريقية من تونس إلى أقصى الغرب، بعد أن هزمت حسان بن النعمان، لما جاء المدد إلى حسان، ورأت أن لا قِبَل لها بمواجهته، انسحبت من الشرق إلى معاقلها في الغرب، وفي طريقها خربت كل ما مرت عليه من مدن البربر وضياعهم، وهو ما شق على عموم البربر وجعلهم يتفرقون عنها، ويستأمنون من حسان بن النعمان، لكي يخلصهم منها، قبل أن يتوجه لقتالها ويهزمها ويقتلها.

وفي كتابه: رياض النفوس، يقول مؤرخ المغرب أبو بكر المالكي:

---

١) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٤٣.

٢) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٤٣.

"فأخربت ذلك كله، فخرج من النصارى ثلاثمائة رجل يستغيثون بحسان فيما نزل بهم من الكاهنة من خراب"[١].

وهذا هو الفرق بين جيوش الفتح الإسلامي وجيوش الأقوام الجاهلية، فجيش الفتح في إفريقية تعرض للهزيمة، وقُتل ثلاثة من قادته في المعارك، وانسحب من إفريقية عدة مرات، دون أن يرد في أي مصدر أنه خرب عند هزيمته أو في طريق انسحابه بلدات أو قرى عامرة لم تتعرض له، بل كان إذا انتصر غنم ممن قاتلوه وانتصر عليهم، ثم اختط المدن وأقام النظام ووضع الترتيبات، وإذا انهزم انسحب إلى قاعدته في برقة، ليستعد لجولة القتال التالية، دون أن يتعرض لمن لم يقاتلوه.

وفي تفسير ما فعلته الكاهنة من تخريب مدن البربر إبان انسحابها، يقول مؤرخ المغرب ابن عذاري المُراكشي:

"وملكت الكاهنة المغرب كله بعد حسان خمس سنين، فلما رأت إبطاء العرب عنها، قالت للبربر: "إن العرب إنما يطلبون من إفريقية المدائن والذهب والفضة، ونحن إنما نريد منها المزارع والمراعي، فلا أرى لكم إلا خراب بلاد إفريقية كلها، حتى ييأس منها العرب، فلا يكون لهم رجوع إليها إلى آخر الدهر، فوجَّهت قومها إلى كل ناحية يقطعون الشجر ويهدمون الحصون"[٢].

فالكاهنة، لأنها من الطراز الجاهلي من البربر، لم تفهم من الفتوحات سوى أنها هجمات غايتها الاستيلاء على الذهب والفضة، بالضبط مثل سفيه الأمازيغ أحمد

---

١) رياض النفوس في طبقات علماء القَيْروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسيرٍ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج١، ص٥٣.

٢) البيان المُغرِبُ في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج١، ص٦٣.

عصيد، بعدها بأربعة عشر قرناً، ولأنهم جاهليون لم تستطع أن ترى هي ولا هو الرسالة التي يحملها جيش الفتح، والعقيدة التي يتحرك بها ومن أجلها، ولا أن تدرك أن جيش الإسلام يأخذ الغنائم لأن الذي أرسلهم بهذه الرسالة والعقيدة أباحها لهم.

يقول عز وجل:

﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾ (الفتح: ٢٠).

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ (الأنفال: ٤١).

ولأن الغنائم ليست هي غاية جيش الفتح، كما فهم ويفهم الطراز الجاهلي من الأمازيغ، فلم يوقف تخريب الكاهنة لمدن إفريقية مسيرة جيش الفتح، ولا غيَّر شيئاً من خططه ووجهته، يقول ابن خلدون:

"وزحف إليها (حسان بن النعمان) وهي في جموعها من البربر فانهزموا، وقُتلت الكاهنة بمكان السر المعروف بها لهذا العهد بجبل أوراس"[(١)].

والآن إلى العجيبة التي أخبرناك بها، فقد كان في جيش حسان بن النعمان الذي قاتل الكاهنة ومن تبعها من البربر وهزمهم، قواتٌ من البربر الذين أسلموا وحسن

---

١) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٤٣.

إسلامهم، وليست هذا هو العجيب، بل العجيب أنه كان على قيادة هذه القوات أبناء الكاهنة!!

يقول ابن عبد الحكم في: فتوح مصر والمغرب:

"وكان مع حسان جماعة من البربر، من البُتر، فولَّى عليهم حسانُ الأكبرَ من ابني الكاهنة، ومضى حسان ومن معه، فلقي الكاهنة في أصل جبل، فقُتلت وعامة من معها، فسُميت ببئر الكاهنة"[١].

ويقول أبو بكر المالكي في رياض النفوس:

"وكان مع حسان جماعة من البربر يقال لهم البُتر، فولى عليهم الأكبر من ولدي الكاهنة وقربه، ثم مضى حسان ومن معه يريد الكاهنة"[٢].

والأعجب من ذلك، أن الكاهنة نفسها هي التي أمرت ابنيها أن يُسلما وينضما إلى حسان بن النعمان، إذ لما توجه حسان بن النعمان لغزو الكاهنة، يقول ابن عبد الحكم:

"قالت لخالد بن يزيد (الذي أسرته في المعركة السابقة): "إني إنما كنت تبنيتك لهذا اليوم، أنا مقتولة، فأوصيك بأخويك هذين خيراً، فقال خالد: "إني اخاف إن كان ما تقولين حقاً ألا يُستبقيا، قالت: "بلى، ويكون أحدهما عند العرب أعظم شأناً مما

---

١) فتوح مصر والمغرب، ص٢٧١.

٢) رياض النفوس في طبقات علماء القَيْروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسيرٍ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج١، ص٥٤.

هو اليوم، فانطلق فخذ لهما أماناً"، فانطلق خالد فلقي حسان، فأخبره بخبرها، وأخذ لابنيها أماناً"[1].

ويقول ابن خلدون في تاريخه:

"وكان للكاهنة ابنان قد لحقا بحسان، وحسن إسلامهما واستقامت طاعتهما ... وأشارت عليهم بذلك لأثارة من علم كانت لديها بذلك من شياطينها"[2].

ويقول أبو بكر المالكي في كتابه: رياض النفوس:

"فلما أصبح حسان زحف إليها، وأقبلت الكاهنة زاحفة إليه، فلقيت أعنةُ الخيل خالداً وولديها، فسلموا عليهم، ومضوا بهم إلى حسان، فدخل خالد بن يزيد على حسان وأخبره بما قالت الكاهنة، وأنها وجهت إليه بولديها، فأمر بهما حسان، فأدخلهما في عسكره، ووكل بهما أقواماً"[3].

وإليك الآن ما يزيل عجبك، وتعرف منه أن ما فعلته الكاهنة من أمْر أبنائها بالإسلام والانضمام إلى جيش حسان بن النعمان الذي يتأهب لقتالها، بعد أن أيقنت بالهزيمة، من سمات البربر الأصيلة والمتوراثة عبر القرون.

يقول المؤرخ الفرنسي إيميل جوتييه في كتابه: ماضي شمال إفريقيا:

---

١) فتوح مصر والمغرب، ص٢٧١.

٢) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٧، ص١٣، ج٦، ص١٤٣.

٣) رياض النفوس في طبقات علماء القَيْروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسيرٍ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج١، ص٥٥.

"وما فعلته الكاهنة تكرر في القرن العشرين، إذ قاوم قائد قبائل زيان، موحا أو حَمُّو Mouha ou Hammou الفرنسيين مقاومة شديدة، وقاتلهم في المناطق الجبلية، شمال المغرب، فلما أيقن بالهزيمة، سار على خطى الكاهنة، وأمر أبناءه قبل المعركة النهائية أن ينضموا إلى الفرنسيين، فقاتلوا معهم ضد أبيهم في المعركة التي قُتل فيها، ثم صاروا أتباعاً مخلصين للجنرال بومِيرو Poeymirau"[١].

وبعد قتل الكاهنة اليهودية وانتهاء أمرها، يقول ابن خلدون:

"واستأمن إليه البربر على الإسلام والطاعة، وعلى أن يكون منهم اثنا عشر ألفاً مجاهدين معه، فأجابوا وحسن إسلامهم، وعقد للأكبر من ابني الكاهنة على قومهم جراوة"[٢].

ويقول أبو بكر المالكي:

"ثم إن الروم والبربر تحزبوا بعد ذلك، واجتمعوا على قتال حسان وقاتلوه، فهزمهم الله تعالى، فخافوه، فاستأمنوا إليه، فلم يقبل أمانهم حتى أعطوه من جميع قبائلهم اثني عشر ألف فارس، يكونون مع العرب مجاهدين، فأجابوه وأسلموا، فعقد لولدي الكاهنة بعد إسلامهما، لكل منهما على ستة آلاف فارس من البربر، وأخرجهم مع العرب يفتحون إفريقية ويقتلون الروم ومن كفر من البربر، فمِن ذلك صارت الخطط

---

1) Le Passé de L'Afrique du Nord, P278.

٢) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٤٣.

للبربر بإفريقية، فكان يقسم الفيء بينهم والأرض، وحسنت طاعتهم، فدانت له إفريقية، ودون الدواوين"(١).

وبذلك صار في جيش الفتح الإسلامي اثنا عشر ألفاً من البربر الذين أسلموا، وعلى قيادتهم ابنا الكاهنة، وصاروا هم الفاتحين، وصار لهم نصيب في الخراج والغنائم، ونظم حسان بن النعمان بلادهم ووضع لها خططاً، وقسم بينهم الأرض، ولم يكن بها نظام عام من قبل.



حملة حسان بن النعمان ومعركة الكاهنة

والآن نريدك أن تذهب إلى موقع اليوتيوب، وسوف تجد فيه مقطعاً لسفيه الأمازيغ أحمد عصيد، عن الكاهنة دِهيا، عنوانه: دور المرأة الأمازيغية في مقاومة الغزو العربي، وقد وضع على المقطع صورة مرسومة لامرأة رشيقة جميلة ينساب شعرها الناعم على رقبتها وأكتافها، على أن هذه هي الكاهنة.

---

١) رياض النفوس في طبقات علماء القَيْروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسيرٍ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج١، ص٥٦.

وما نريده منك ليس أن تستمع إلى هرائه، بالهاء وليس بالخاء، بل أن تتأمل هذه الصورة التي وضعها على أنها للكاهنة، وأنت تقرأ وصف الكاهنة وصفتَها الحقيقية، كما نقلها مؤرخ المغرب أبو بكر المالكي في إحدى رواياته.

يقول المالكي في كتابه: رياض النفوس:

"فانهزمت الكاهنة، وقُتلت عند بئر، فسماه المسلمون بئر الكاهنة، فنزل حسان على الموضع الذي قتلت فيه، فعجب الناس من خِلقتها، وكانت الأترجة تجري فيما بين عجيزتها وأكتافها"[١].

والفرق بين صفة الكاهنة ووصفها الحقيقي الذي قرأته، وبين الصورة التي يقدمها سفيه الأمازيغ لأكلة البرسيم على أنها للكاهنة، وتبدو فيها كأحدى نجمات أفلام هوليوود، هو الفرق بين الحقيقة والتاريخ الحقيقي وبين التزوير والتدليس الذي يدلسه هذا الطراز الجاهلي من الأمازيغ، والأوهام التي يبولونها في أذهان من يسيرون خلفهم.

١) رياض النفوس في طبقات علماء القَيْروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسيرٍ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج١، ص٥٥-٥٦.

البربر في رحاب الإسلام:

ونعود بك إلى حسان بن النعمان، فبعد إسلام البربر، عاد لمواجهة الروم والقضاء على فلولهم، يقول أبو بكر المالكي:

"ثم قدم إلى القَيروان، فأمر بتجديد بناء المسجد الجامع، فبناه بناءًا حسناً، وجُدد في شهر رمضان سنة أربع وثمانين، ثم رحل يريد قرطاجنة، فانتهى إلى طَنبُذة، فوجه أبا صالح مولاه، إلى قلعة زغوان، فنزل بموضع فسمي فحص أبي صالح، فقاتل أهلها ثلاثة أيام، فلم يقدر عليهم، فخلى حسان عسكره بطنبذة، ورحل إلى زغوان في خيل مجردة، فافتتحها، ثم انصرف إلى طنبذة، ثم سار يريد قرطاجنة، فنزل بموضع دار الصناعة، وهو الذي أخرق البحر وجعلها دار صناعة، فأخرج إليها الماء، وأجراه من البحر إليها، فخرج إليه أهل قرطاجنة فحاربوه حرباً شديدة، فهزمهم الله تعالى، وملك حسان فحص تونس وقرطاجنة، فلما رأت الروم شدته وقهره، سألوه الصلح وأن يضع عليهم الخراج، فأجابهم إلى ذلك، وأدخلوا ثقلهم في مراكب كانت عندهم معدة في البحر، وهربوا من باب يقال له باب النساء في الليل، وحسان لا علم له بذلك، وتركوا المدينة خالية، ونزلوا بجزيرة صقلية، وبعضهم بالأندلس"[(١)].

وطَنبُذة التي فتحها حسان بن النعمان، هي تَنبُدَة البيزنطية Ţunbudha، وتقع جنوب قرطاجنة، وكان بها حصن للروم، ومكانها الآن مدينة المحمدية، عشرين كيلومتراً جنوب مدينة تونس.

---

١) رياض النفوس في طبقات علماء القَيْروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسيرٍ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج١، ص٥٦-٥٧.

وأما زغوان فهي زيكوا البيزنطية Ziqua، وقد احتفظت باسمها، وتقع جنوب غرب مدينة تونس، على بعد خمسين كيلومتراً.

ويقول ابن خلدون:

"**وانصرف حسان إلى القيروان، فدوَّن الدواوين، وصالح من التقى بيده من البربر على الخراج، وكتب الخراج على عجم إفريقية ومن أقام معهم على النصرانية من البربر والبرانس**"[١].

وهكذا استقر جُل شمال إفريقيا، من برقة إلى المغرب الأقصى، لحسان بن النعمان وجيش الفتح، فأسلم قسم من البربر، وفر الروم من معاقلهم في قرطاجنة وما حولها إلى صقلية وإسبانيا، وصالح من لم يسلم من البربر ومن بقي معهم من الروم على الخراج، وجدد حسان بن النعمان القَيروان، ودون الدواوين، أي وضع حكومة ونظاماً إدارياً عاماً، ونصب عمالاً ليكونوا مسؤولين عن إقامة النظام وتسيير شؤون البلاد.

وقسم حسان بن النعمان، الجزء الإسلامي من شمال إفريقيا إلى ثلاث ولايات، الأولى: ولاية برقة، وتمتد من غرب مصر إلى نهاية إقليم برقة، وعاصمتها مدينة برقة، والثانية: ولاية إفريقية، وعاصمتها القَيروان، وتمتد من غرب برقة إلى نهر شِلِف، الذي ينبع من جبل راشد، أحد جبال أطلس الصحراء، ويصب في البحر المتوسط، شرق مدينة مستغانم الحالية، شمال غرب الجزائر، والثالثة: ولاية المغرب الأوسط، وعاصمتها تلمسان، وتمتد من غرب نهر شِلِف إلى نهر ملوية، الذي ينبع من جبل

---

١) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٤٤.

العياشي، أحد جبال أطلس الوسط، ويصب في البحر المتوسط، قرب مدينة السعيدية الحالية، شمال شرق المغرب.

واختار حسان بن النعمان موضعاً جنوب قرطاج/قرطاجنة، وإلى الداخل، ويفصله عن البحر حاجز من الأرض، فحفر الحاجز، ووصل الموضع الذي اختاره بالبحر، وجعله ميناءًا للسفن، وداراً لصناعتها، وهي التي صارت مدينة تونس العامرة إلى يومك هذا، وهي ثاني مدينة إسلامية خالصة في شمال إفريقيا بعد القَيروان.

يقول أبو بكر المالكي، في كتابه: رياض النفوس:

"واستقامت إفريقية كلها، وأمن أهلها، وقطع الله عز وجل أهل الكفر منها، وصارت دار إسلام إلى وقتنا هذا، وإلى آخر الدهر إن شاء الله تعالى"[١].

وفي سنة ٧٩هـ/٦٩٨م، ولّى والي مصر عبد العزيز بن مروان، موسى بن نصير على إفريقية، وكان حسان بن النعمان قد تركها، واستخلف عليها أبا صالح الفهري.

وموسى بن نصير ليس عربياً، بل هو من بلدة عين التمر، وهي قبل الإسلام سِفاتا Ŝefâṯa، وموقعها غرب العراق، في محافظة كربلاء، وكان أبوه من السبي في معركة عين التمر بين جيش الإسلام بقيادة خالد بن الوليد وجيش الفرس، سنة ١٢هـ/٦٣٣م، فأسلم، ثم صار من حرس معاوية بن أبي سفيان، وترقى ابنه موسى، بكفاءته وقدراته، حتى جعله معاوية بن أبي سفيان على رأس جيش أرسله إلى جزيرة قبرص، ثم ولاه عليها.

١) رياض النفوس في طبقات علماء القَيْروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسيرٍ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج١، ص٥٧.

وحين وصل موسى بن نصير إلى إفريقية، وجد أمورها في اضطراب، وكثير من البربر، خصوصاً في مناطق الغرب، قد ارتدوا، يقول ابن خلدون إن:

"البربر ارتدوا اثنتي عشرة مرة من طرابلس إلى طنجة، ولم يستقر إسلامهم حتى أجاز طارق وموسى بن نصير إلى الأندلس، بعد ان دوخ المغرب، وأجاز معه كثير من رجالات البربر برسم الجهاد، فحينئذ استقر الإسلام بالمغرب، وأذعن البربر لحكمه، ورسخت فيهم كلمة الإسلام، وتناسوا الردة"[١].

ومرة أخرى، لم يكن كل البربر على الردة، بل كان منهم من رسخ فيهم الإسلام واستقر، من قبل العبور إلى الأندلس، يقول ابن خلدون، قبل الفقرة السابقة مباشرة:

"وولّى على طنجة طارقَ بن زياد، وأنزل معه سبعة وعشرين ألفاً من العرب، واثني عشر ألفاً من البربر، وأمرهم أن يعلموا البربر القرآن والفقه"[٢].

وفي رواية ابن عذاري المُراكشي:

"واستعمل مولاه طارقاً على طنجة وما والاها، في سبعة عشر ألفاً من العرب واثني عشر ألفاً من البربر"[٣].

---

١) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٤٤.

٢) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٤٤.

٣) البيان المُغرِبُ في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج١، ص٧٠.

وكما ترى، كان مع طارق بن زياد حين أرسله موسى بن نصير والياً على طنجة، وقبل فتح الأندلس، اثنا عشر ألفاً من البربر المسلمين، بل وتولوا مع العرب تعليم الجاهليين من البربر القرآن والفقه ليستقر الإسلام في نفوسهم.

وكانت أولى غزوات موسى بن نصير، بعد أن وصل إفريقية، إلى منطقة جبل زغوان، يقول مؤرخ المغرب ابن عذارِي المُراكُشي:

"**فأول فتوحه قلعة زغوان ونواحيها، وبينها وبين القَيروان مسيرة يوم كامل، وبنواحي زغوان قبائل برير، بعث إليهم موسى خمسمائة فارس، ففتحها الله، ثم وجه ابناً له اسمه عبد الله إلى بعض نواحي إفريقية، فاتى بمائة ألف رأس من السبي، ثم وجه ابنه مروان، فأتى بمثلها، فكان الخُمس يومئذ ستين ألفاً**"(١).

وقد جئناك بهذه الرواية، ليس فقط لنعرفك بفاتحة أعمال موسى بن نصير في إفريقية، ولكن أيضاً من أجل أرقام السبي الأسطورية التي تحويها، فهذه هي نفسها الرواية التي نقلها بأرقامها شهاب الدين النويري، في كتابه: نهاية الأرب في فنون الأدب(٢)، ويلتقطها الطراز الجاهلي من الأمازيغ، لتكون من ذرائعهم في الانتحاب واللطم، ولأنهم كما علمتَ، لا يعنيهم التحقيق ولا الحقيقة، وجاهليتهم تطمس أبصارهم وتُعمي بصائرهم، فلا يتوقف أحدهم وهو يصرخ بهذه الأرقام، ويلطم وينتحب، ليسأل نفسه: هل يُعقل أن تكون هذه الأرقام حقيقية؟!

---

١) البيان المُغرِبُ في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج١، ص٦٧.

٢) الأديب شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٤، ص٢١، تحقيق: الأستاذ عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

فرواية ابن عذاري والنويري، تخبرك، أن خُمس السبي الذي أُرسله موسى بن نصير إلى عاصمة الدولة، كان ٦٠ ألفاً، وهو ما يعني أن عدد الذين سباهم من البربر، في هذه الغزوات المتفرقة الصغيرة التي تركها لأبنائه، كان ٣٠٠ ألف، فكم كان عدد قبائل البربر إذاً في هذه النواحي الجبلية والصحراوية، وكم كان تعداد الجيش الذي أسر هذا العدد الهائل، وحين أسرهم من أين أتى بالمكان الذي يسعهم، وكيف كان يطعمهم ويُعيشهم؟!

وبعد فتح قلعة زغوان، يقول ابن عذاري:

"قال ابن قتيبة: "فتح موسى بن نصير سَجومة، وقتل ملوكها، وأمر أولاد عقبة، عياضاً وعثمان وأبا عَبْدة، أن يأخذوا حقهم من قاتل أبيهم ... ثم فتح موسى هوارة وزناتة وكُتامة، فأغار عليهم وقتلهم وسباهم"[١].

وكانت إفريقية تتقلب بين كونها ولاية مستقلة، وبين تبعيتها لولاية مصر، وفي سنة ٨٦هـ/٧٠٥م، فصل الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك إفريقية والمغرب عن ولاية مصر، وجعلها ولاية مستقلة، وصار موسى بن نصير والياً عليها.

وبعد أن قام موسى بن نصير بضبط الأمور في إفريقية وما حول القَيروان، يقول ابن عبد الحكم في فتوح مصر والمغرب:

"وجه موسى بن نصير ابنه مروان بن موسى، إلى طنجة، مرابطاً على ساحلها، فجهد هو وأصحابه، فانصرف، وخلف على جيشه طارق ... ويقال إن موسى بن نصير خرج من إفريقية غازياً إلى طنجة، وهو أول من نزل طنجة من الولاة، وبها

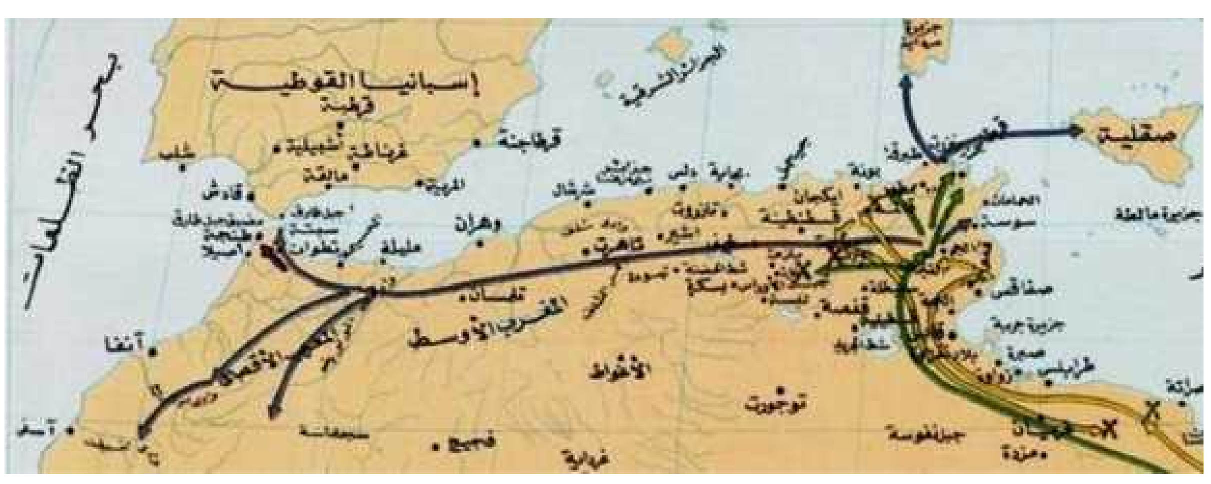
---

١) البيان المُغرِبُ في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج١، ص٦٨.

من البربر بطون من البُتر والبرانس، ممن لم يكن دخل في الطاعة، فلما دنا من طنجة بث السرايا، فانتهت خيله إلى السوس الأدنى، فوطئهم وسباهم، وأدَوا إليه الطاعة، وولى عليهم والياً فأحسن فيهم السيرة، ثم إن موسى عزل الذي كان استعمله على طنجة، وولى طارق بن زياد"[١].

أما ابن خلدون فيورد في السيرة المختصرة التي كتبها عن موسى بن نصير نبذة موجزة عن فتوحاته، يقول فيها:

"ثم غزا طنجة، وافتتح دَرعة وصحراء تافيلالت، وأرسل ابنه إلى السوس، وأذعن البربر لسلطانه ودولته، وأخذ رهائن المصامدة وأنزلهم بطنجة، وذلك سنة ثمان وثمانين، وولى عليها طارق بن زياد"[٢].



حملة موسى بن نصير

---

١) فتوح مصر والمغرب، ص٢٧٥-٢٧٦.

٢) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٤، ص٢٣٩.

ومثل عقبة بن نافع قبله، يقول ابن عذاري المراكشي:

"ترك موسى بن نصير سبعة عشر رجلاً من العرب يعلمونهم القرآن وشرائع الإسلام، ثم مضى قافلاً إلى إفريقية"[١].

وبعد أن أتم موسى بن نصير فتح المغرب الأقصى، أنشأ فيه ولايتين جديدتين، أضافهما إلى الولايات الثلاث اللاتي قسَّم حسان بن النعمان شمال إفريقيا إليها، وأخبرناك بهم من قبل.

والولايتان الجديدتان اللتان أنشأهما موسى بن نصير، الأولى: ولاية المغرب الأقصى، وعاصمتها طنجة، وتمتد من نهر ملوية شرقاً إلى طنجة غرباً، ومن البحر المتوسط شمالاً إلى الجزء الشمالي من نهر درعة وجبل درن، أو الأطلس الكبير جنوباً، وتشمل بلاد السوس الأدنى، والولاية الثانية: ولاية السوس، وعاصمتها سِجِلماسَّة، وتمتد من منابع نهر ملوية وجبال أطلس الوسط شرقاً إلى المحيط غرباً، ومن جنوب الجزء الشمالي من نهر درعة وجبال أطلس الصحراء التي ينبع منها شمالاً إلى مصب نهر درعة في المحيط وجبال الأطلس الصغير وتخوم الصحراء جنوباً، وهي بلاد السوس الأقصى.

---

١) البيان المُغرِبُ في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج١، ص٧٠.



ولايات المغرب الإسلامي

وأما طارق بن زياد الذي ولاه موسى بن نصير على ولاية المغرب الأقصى وعاصمتها طنجة، ثم عبر المضيق على رأس جيشه، ليصبح فاتح الأندلس، وأحد أشهر الفاتحين في تاريخ أمة الإسلام، فهو من البربر، وكذلك جُل جيشه الذي فتح به الأندلس.

واسم طارق بن زياد الكامل، كما أورده مؤرخ المغرب ابن عذارىٍ المُراكشي، في كتابه: البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، هو:

"طارق بن زياد بن عبد الله، بن ولغو بن ورفجوم بن نبرغاسن بن واماص بن يطوفت بن نفزاو"[١].

---

١) **البيان المُغرِبُ في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج١، ص٧١.**

وعلى ذلك فطارق بن زياد من الجيل الثالث من البربر الذين أسلموا من قبيلة نفزاوة، وهي، كما يقول ابن خلدون، من البربر البُتْر، وتنحدر من يطوفت بن نفزاو، وهو لَوا الأصغر، بن لَوا الأكبر، بن زحيك، بن مادغيس الأبتر.

وبعد أن عبر البربر إلى الأندلس، وصاروا هم الفاتحين باسم الإسلام، وعلى رأسهم وقيادتهم طارق بن زياد، كما يقول ابن خلدون:

"**استقر الإسلام بالمغرب، وأذعن البربر لحكمه، ورسخت فيهم كلمة الإسلام**"(١).

ويقول مؤرخ المغرب ابن عذاري المراكشي:

"**وكانت ولاية طارق على طنجة والمغرب الأقصى في سنة خمس وثمانين، وفي هذا التاريخ تم إسلام أهل المغرب الأقصى، وحولوا المساجد التي كان بناها المشركون إلى القبلة، وجعلوا المنابر في مساجد الجماعات، وفيها صُنع مسجد أغمات هَيلانة**"(٢).

وباستقرار الإسلام في المغرب الإسلامي، ورسوخه في تفوس أهله من البربر، صاروا جزءاً من أمة الإسلام التي تمتد من المحيط إلى المحيط، وتركوا البداوة والقبلية والجاهلية، وظهروا على مسرح المدنية والحضارة لأول مرة في تاريخهم، فدخلوا في حضارة الإسلام وصاروا من صُناعها، ومنهم صناع الدول والساسة والقادة والعلماء

---

١) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٤٤.

٢) البيان المُغرِبُ في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج١، ص٧١.

والأدباء والمؤرخون، وقد جئناك بنماذج منهم من قبل، مثل يوسف بن تاشفين وابن بطوطة.

يقول ابن خلدون في وصف البربر والدول التي أنشأوها في ظلال الإسلام، وضمن الخلافة وأمة الإسلام الواحدة:

"**وأما إقامتهم لمراسم الشريعة وأخذهم بأحكام الملة ونصرهم لدين الله، فقد نُقل عنهم من اتخاذِ المعلمين كتاب الله لصبيانهم، والاستفتاءِ في فروض أعيانهم، واقتفاءِ الأئمة للصلوات في بواديهم، وتدارس القرآن بين أحيائهم، وتحكيمِ حملة الفقه في نوازلهم وقضاياهم، وصاغيتِهم إلى أهل الخير والدين من أهل مصرهم للبركة في آثارهم، وسؤال الأعداد عن صالحيهم، وإغشائهم البحر أفضل المرابطة والجهاد، وبيعِهم النفوس من الله في سبيله وجهاد عدوه، ما يدل على رسوخ إيمانهم وصحة معتقداتهم ومتين ديانتهم التي كانت مِلاكاً لعزهم ومقاداً إلى سلطانهم وحكمهم**"(١).

وأما أطرف نموذج على اندماج البربر في أمة الإسلام، وإسهامهم في صناعة حضارتها وعلومها، فهو أن تعلم أن متن الأجرومية في النحو، وهو أحد أشهر المتون في علوم العربية، وأحد المتون الرئيسية التي يقررها الأزهر على طلابه طوال تاريخه، متن الأجرومية هذا، مؤلفه هو الإمام والفقيه البربري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن داود الصنهاجي المشهور بالأجرومي.

---

١) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص١٣٧.

والبربر صاروا جزءًا من أمة الإسلام، ومن صناع حضارتها وعلومها، إلى أن هبت على أمة الإسلام عواصف القرن العشرين، وما حملته إليها من حملات الإمبراطوريات الماسونية، التي تمكنت من إسقاط دولة الإسلام، وتفكيك عقيدة الأمة الواحدة، وإحلال الدماء والأجناس والعقيدة القومية الجاهلية البنـي إسرائيلية محلها، وتهييج الأقليات الدينية والعرقية، وفصل الشعوب غير العربية عن الإسلام واختلاق هوية منفصلة لها، بعد استغفال العرب أنفسهم ودفعهم إلى الخروج من عربية اللسان والرسالة إلى عربية الجنس والسلالة، وكان أحد أكبر نجاحات هذه الإمبراطوريات الماسونية بعث الطراز الجاهلي من الأمازيغ، فأعد قراءة الكتاب الذي بين يديك من أوله.

المراجع والمصادر

أولاً: العربية:

١) أبو بكر عبدُ الله بنُ محمد المالكي، مؤرخ المغرب: رياض النفوس في طبقات علماء القَيْروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسيرٍ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٢) أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي، مؤرخ المغرب: البيان المُغرِبُ في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٣) أبو العباس أحمد بن يحي بن جابر البلاذري، المؤرخ: فتوح البلدان، حققه وشرحه وعلق على حواشيه وأعد فهارسه وقدم له: د/عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٤) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشي المصري، المؤرخ: فتوحُ مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦١م.

٥) أصوات مغاربية، موقع: مؤسس الكونغرس الأمازيغي: حلم تمزغا الكبرى لم يمت، ٢٥ يناير ٢٠١٨م.

٦) ألفريد بتلر، المؤرخ البريطاني: فتح العرب لمصر وآخرُ ثلاثين سنةً من السيطرة الرومانية، عربه: الأستاذ محمد فريد أبو حديد، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥١هـ/١٩٣٣م.

٧) جابرييل كومب، المؤرخ الفرنسي: البربر ذاكرة وهوية، ترجمة: عبد الرحيم حزل، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١٤م.

٨) حسين مؤنس، د/: فتح العرب للمغرب، مكتبة الآداب بالجماميز، القاهرة، ١٩٤٧م.

٩) حسين مؤنس، د/: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٠) شارل أندريه جوليان، المؤرخ الفرنسي: تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس الجزائر المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة ١٨٣٠م، تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٣م.

١١) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، الأديب: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٤، تحقيق: الأستاذ عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

١٢) الظهير البربري: ظهير شريف يصبح بموجبه قانونياً مطابقاً للأصول المرعية سير شؤون العدلية الحالي في القبائل ذات العوائد البربرية التي لا توجد فيها محاكم مكلفة بتطبيق القواعد الشرعية، الجريدة الرسمية، المغرب، ٨ محرم ١٣٤٩هـ/٦ يونيو ١٩٣٠م.

١٣) عبد الله العروي، د/: مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الطبعة الخامسة، الدار البيضاء، بيروت، ١٩٩٦م.

١٤) عبد الرحمن بن محمد بن خَلدون، المؤرخ: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر/تاريخ ابن خلدون، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: الأستاذ خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٥) علال الفاسي، المؤرخ المغربي: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، مؤسسة علال الفاسي، الطبعة السادسة، الدار البيضاء، ٢٠٠٣م.

١٦) كاتارينا مومزن، د/: جوته والعالم العربي، ترجمة: د/عدنان عباس علي، عالم المعرفة ١٩٤، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، فبراير ١٩٩٥م.

١٧) محمد الغرايب، د/: الجانب الإنساني في المقاومة الأمازيغية، حالة كسيلة والكاهنة، دراسة ضمن كتاب: المقاومة المغربية عبر التاريخ أو مغرب المقاومة، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

١٨) محمد المكي الناصري، مندوب المغرب في المؤتمر الإسلامي العام: فرنسا وسياستها البربرية في المغرب الأقصى، تقرير مقدم إلى المؤتمر الإسلامي العام من اللجنة الشرقية للدفاع عن المغرب، طبع شركة بابل، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.

ثانياً: الأجنبية:

1) Charles André Julien: Histoire de L'Afrique du Nord: Tunisie, Algérie, Maroc de la Conquête Arabe à 1830, Payot, Paris, 1931.

2) Emile Félix Gautier: Le Passé de L'Afrique du Nord, Payot, Paris, 1937.

3) H. Claudot-Hawad: Koceila, Koseyla, Koseylata Dans la Tradition Orale Touarègue, Encyclopédie Berbère, XXVIII-XXIX, Centre de Recherche Berbère, Inalco-Paris, 2008.

4) Maurice Caudel: Les Premières Invasions Arabes Dans L'Afrique du Nord, Ernest Leroux, Paris, 1900.

5) Mohanad Aarav Bessaoud: De Petites Gens Pour Une Grande Cause, Ou L'Histoire de L'Academie Berbere, Imprimerie de l'Artisan, Alger, 2000.

6) M. Talbi: Kusayla B. Lamzam Or Kasila, The Encyclopedia of Islam, Vol. V, Prepared By A Number of Leading Orientalists, New Edition, E. J. Brill, Leiden, 1986.

7) René Bazin: Charles de Foucauld, Explorateur du Maroc, Ermite au Sahara, Librairie Plon, Paris, 1921.

8) René Passet: Kusaila B. Lemzem, The Encyclopedia of Islam, Vol. II, Prepared By A Number of Leading Orientalists, E. J. Brill Ltd, Leyden, Luzac Co., London, 1927.

9) Wikipédia,L'LEcyclopédieLibre:Tamazgha:

https://fr.wikipedia.org/wiki/Tamazgha

فهرس الصور

الفهرس

دكتور بهاء الأمير

- **المؤلفات المطبوعة:**

١	كوسوفا، المذابح والسياسة، دار النشر للجامعات.
٢	النور المبين، رسالة في بيان إعجاز القرءان الكريم ، مكتبة وهبة.
٣	المسجد الأقصى القرءاني، دار الحرم للتراث.
٤	الوحي ونقيضه، بروتوكولات حكماء صهيون في القرءان، مكتبة مدبولي.
٥	اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، مكتبة مدبولي.
٦	اليهود والماسون في الثورات والدساتير، مكتبة مدبولي.
٧	اليهود والماسون في ثورات العرب، مكتبة مدبولي.
٨	شفرة سورة الإسراء، بنو إسرائيل والحركات السرية في القرءان، مكتبة مدبولي.
٩	بروتوكولات حكماء صهيون، تقديم ودراسة، مكتبة مدبولي.
١٠	الانفجار الكبير، ماذا غير القرءان في العالم وماذا أحضر للإنسانية، مكتبة وهبة.
١١	تفسير القرآن بالسريانية دسائس وأكاذيب والأصول القبالية لتفسير الحروف المقطعة بالسريانية، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٢	النازية واليهود والحركات السرية، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٣	التفسير القبالي للقرآن وفقه البلابيص، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٤	ولي الأمر المتغلب وهندسة المعيار والميزان، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٥	اليهود والحركات السرية في الكشوف الجغرافية، وشركة الهند الشرقية البريطانية، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٦	أول الآتين من الخلف، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٧	بذور المشروع اليهودي في الشام، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٨	الرقيق في الإسلام وتجارة العبيد في الغرب، مطبوع على نفقة المؤلف.

١٩	اليهود والماسونية في المغرب، مطبوع على نفقة المؤلف.
٢٠	درجات الماسونية ومراتبها وكلمات السر والرموز، مطبوع على نفقة المؤلف.
٢١	الأمازيغ والفتوحات الإسلامية، مطبوع على نفقة المؤلف.

ل) دراسات ومقالات منشورة على الإنترنت[õ]:

١	يهود الدونمة.
٢	اليهود والماسون في قضية الأرمن.
٣	حركة الجزويت اليسوعية.
٤	عن الإخوان والماسونية.
٥	معركة المادة الثانية من الدستور.
٦	قواعد في إدارة الصراعات والتعامل مع الأزمات.
٧	عن الفتنة والديمقراطية والحركات الإسلامية.
٨	نقد كتاب اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد.
٩	نقد استخدام حساب الجُمَّل والأعداد في الاستنباط من القرءان.
١٠	حقيقة ما يحدث في مصر.
١١	فرعون بين التوراة والقرءان.
١٢	المسألة الإخناتونية.
١٣	معركتنا مع اليهود نموذج قديم وأحداث جديدة.
١٤	الفريضة الغائبة عما يحدث في مصر، العلماء والميزان.
١٥	الشميطاه واليوبيل.
١٦	القبالاه والموسيقى.
١٧	نقد نظرية الأكوان المتوازية.

õ) روابط الكتب والدراسات في مدونة صناعة الوعي، ومدونة عالم الوحي على الإنترنت.

١٨	البِتكوين، العملة المشفرة.
١٩	حوار مع قادياني.
٢٠	قضية تحرير المرأة.
٢١	أصول دراسة إسلام بحيري عن سِن السيدة عائشة عند زواج النبي بها.
٢٢	رد على نقد بخصوص كتاب شفرة سورة الإسراء:١ ،٢ ، ٣.
٢٣	اليهود الأخفياء.
٢٤	رسم المصحف وكلمات القرآن.
٢٥	اليهود والاشتراكية.
٢٦	المملكة وأردوغان.
٢٧	حفظة الأكلشيهات.
٢٨	اليهودي كرستوفر كولمبس ومشروع المارانو.
٢٩	يهود الخزر.
٣٠	الأزمة في الجزائر وأزمة الشرعية في الدول العربية.
٣١	أحداث الحادي عشر من سبتمبر.
٣٢	الأرض المسطحة.
٣٣	آل عثمان حماة مياه الإسلام.
٣٤	الإسلام والحركات الإسلامية والثورات
٣٥	حوار مع كائن فضائي.
٣٦	الخلافة والمُلك والدولة العثمانية وبلاليص ستان.
٣٧	جوته والإسلام والماسونية.
٣٨	نقد كتاب السامري الساحر المصري الذي أسس الماسونية.
٣٩	السلطان عبد الحميد وعبد الرحمن الكواكبي.
٤٠	القبالاه روح عصر النهضة والتنوير.

٤١	العراقيل أمام دراسة المسألة اليهودية في بلاليص ستان.
٤٢	حكماء صهيون وبروتوكولاتهم.
٤٣	اليهود والسُلطة وحكم العالم.
٤٤	الفرق بين المماليك والآتين من الخلف.
٤٥	السلطان عبد الحميد وتيودور هرتزل.
٤٦	بريطانيا واليهود.
٤٧	نابليون الماسوني واليهود.
٤٨	مستوطنة في جزيرة العرب ومستوطنة في سيناء.
٤٩	مقدمة وتعليقات على كتاب: المؤامرة الكونية، ليان فان هيلسنج، وترجمة: م/أحمد حمدي.
٥٠	درجات الماسونية ومراتبها وكلمات السر والرموز.
٥١	الترك وقتالهم.
٥٢	القسطنطينية وآخر الزمان.
٥٣	أخطاء الإسلاميين في الثورة.
٥٤	حكم قتل الكافر الحربي.
٥٥	كورونا.
٥٦	اليهود في الصين.
٥٧	نصيحة بخصوص تربية الأبناء.
٥٨	هارون الرشيد وشارلمان العظيم.
٥٩	الرقيق في الإسلام وتجارة العبيد في الغرب.
٦٠	الأرض والمقدسات بين التفسير الإسلامي والتفسير اليهودي.
٦١	القومية والعلمانية في التوراة.
٦٢	إلى أنصار الأرض المسطحة.

٦٣	الأسباط، شيطان بني إسرائيل، بنو إسرائيل واليهود، قابيل والمسيخ الدجال.
٦٤	أردوغان والمعمار القومي لبلاليص ستان.
٦٥	الرقيق والاسترقاق في هذا الزمان.
٦٦	الدولة العثمانية والمغرب.
٦٧	مفتاح الشفرة اللغوية في صدر سورة الإسراء ومن يكون العباد.
٦٨	الخلافة الإسرائيلية.
٦٩	تطبيع وتدليس.
٧٠	خلف ماكرون وشارلي إبدو.
٧١	حوار مع مبتدئ في كار التخفي.
٧٢	النبي العربي.
٧٣	مصادر الدراسات الماسونية.
٧٤	شبهات حول العربية والقراءات والقرآن وهلوسة وهذيان.

قصص قصيرة:

١	جيفارا.
٢	مجاهد بن عبد الله الأزهري.
٣	علميها رمي الحجر.
٤	أبو خربان.

المرئيات(õ):

أولاً: مع الكاتب والمفكر الإسلامي جمال سلطان في برنامج حوارات بقناة المجد:

١	بروتوكولات حكماء صهيون، في مواجهة دكتور عبد الوهاب المسيري ودكتور أحمد ثابت.

õ) مرئيات دكتور بهاء الأمير موجودة على شبكة المعلومات الدولية ، الإنترنت، في موقع يوتيوب وفي العديد من المواقع الأخرى.

٢	اليهود في الغرب، في مواجهة دكتور عمرو حمزاوي.

ثانياً: مع الشاعر المبدع والإعلامي اللامع أحمد هواس في برنامج قناديل وبرنامج كتاب الأسبوع بقناة الرافدين:

١	الوحي ونقيضه.
٢	المسجد الأقصى القرءاني.
٣	خفايا شفرة دافنشي.
٤	ملائكة وشياطين.
٥	دور الحركات السرية في إنشاء الولايات المتحدة الأمريكية والرموز اليهودية والماسونية في الدولار الأمريكي.
٦	القبالاه، التراث السري اليهودي ، وآثارها في العالم.
٧	التنجيم والأبراج، أصلها وحقيقتها.
٨	البلدربرج حكومة العالم الخفية.
٩	الرمز المفقود.
١٠	لماذا العراق؟ خفايا الغزو الأمريكي للعراق.
١١	نبوءة نهاية العالم، الأساطير والحقائق.
١٢	البابية والبهائية، صِلاتها باليهود والغرب والحركات السرية.
١٣	القاديانية والنصيرية، صِلاتها باليهود والغرب والحركات السرية.

ثالثاً: مع الإعلامي والداعية الإسلامي خالد عبد الله في برنامج مصر الجديدة بقناة الناس:

١	خفايا الماسونية ومنظمات المجتمع المدني، الجزء الأول.
٢	خفايا الماسونية ومنظمات المجتمع المدني، الجزء الثاني.
٣	خفايا الماسونية ومنظمات المجتمع المدني، الجزء الثالث.
٤	الاحتفال الماسوني عند الهرم الأكبر، حقيقته والهدف منه.

٥ دكتور محمد البرادعي، مواقفه وأفكاره.

رابعاً : مع الإعلامي والشاعر والداعية الإسلامي دكتور محمود خليل في برنامج الدين والنهضة بقناة مصر ٢٥:

١ الفوضى في مصر، أسبابها ومن المستفيد منها.

٢ مصر بعد الثورة، الأخطار الداخلية والخارجية.

٣ رمضان شهر القرءان.

٤ الثورة والدولة.

خامساً : مع الإعلامي ياسر عبد الستار في قناة الخليجية:

١ الماسونية والثورات.

سادساً : في قناة الحدث :

١ من خلف الثورات.

٢ المشروع اليهودي وحروب الجيل الرابع.

٣ من هي إسرائيل؟

٤ يهودية إسرائيل.

٥ حقيقة الماسونية

سابعاً: في معرض القاهرة الدولي للكتاب ٢٠١٣م:

١ نقد كتاب: سر المعبد للأستاذ ثروت الخرباوي.

ثامناً: في عالم السر والخفاء، برنامج من إعداد وتقديم دكتور بهاء الأمير:

١ عالم السر والخفاء.

٢ جولة في عالم السر والخفاء.

٣ بيان الإله.

٤ الوحي.

٥ الطلاسم.

٦	في الملأ الأعلى.
٧	خريطة الوجود.
٨	الأمم المتحدة.
٩	حقوق الإنسان.
١٠	تحرير المرأة.
١١	اتفاقيات المرأة في الأمم المتحدة.
١٢	الهندوسية.
١٣	جمعية الحكمة الإلهية.
١٤	الحكيمة فوزية دريع.
١٥	حركة العهد الجديد والأمم المتحدة القبالية.
١٦	الماسونية وبناتها.
١٧	الوحي ونقيضه.
١٨	أخوية فيثاغورس
١٩	المخطوط العبري.
٢٠	قلب الماسونية.
٢١	وسائل الانفصال الاجتماعي.

تاسعاً: مقاطع وحوارات مصورة في المنزل:

١	بلاليص ستان: سبعة عشر مقطعاً.
٢	رد على نقد: أربعة مقاطع.
٣	الشورى والديمقراطية: أربعة مقاطع.
٤	أخطاء الإسلاميين: مقطعان.
٥	نبوءات: أربعة مقاطع.
٦	المادة الثانية من الدستور: خمسة مقاطع.

٧	التاريخ السري للغرب: ستة مقاطع.
٨	الوحي ونقيضه.
٩	العقائد والسياسة.
١٠	الناس من غير الدين بهائم.
١١	نفي الألوهية والخلق والوحي أصل الليبرالية والماركسية.
١٢	الأناركية.
١٣	حوار مع معالج بالطاقة.
١٤	علميها رمي الحجر.
١٥	اليهود في الماسونية ج١ الطقوس والرموز.
١٦	اليهود في الماسونية ج٢ درجات الماسونية ومراتبها وكلمات السر ومعانيها.
١٧	أبو خربان.
١٨	تطبيع وتدليس.
١٩	خلف ماكرون وشارلي إبدو.
٢٠	اليهود والماسونية في المغرب، ج١، اليهود في المغرب، العلم القبالي.
٢١	اليهود والماسونية في المغرب، ج٢، الصهيونية في المغرب، تطبيع من قديم.
٢٢	اليهود والماسونية في المغرب، ج٣، الماسونية في المغرب.
٢٣	الأمازيغ والفتوحات الإسلامية: سبعة مقاطع.

أ) السمعيات:

١	برنامج في مكتبة عالم بإذاعة القرءان الكريم، ثلاث حلقات.
٢	برنامج مقاصد الشريعة بإذاعة القرءان الكريم، أربع عشرة حلقة.

الأمازيغ والفتوحات الإسلامية

- حين دخل الناس في دين الله أفواجاً، وامتدت أمة الإسلام من المحيط إلى المحيط، ومن جنوب أوروبا إلى أواسط إفريقيا، كان فيها العرب والفرس والترك والكرد والهنود والأفارقة والبربر والأوروبيون، وكل منهم له خصائصه الشكلية والجسمية وعاداته وأزياؤه ولهجاته وما يميزه عن غيره من الشعوب، ولكن في إطار أنهم جميعاً أمة واحدة، عقيدتها واحدة، وكتابها واحد، ومنظومة قيمها وأخلاقها واحدة، وتشترك في من تواليه ومن تعاديه، ويحرصون جميعاً على معرفة اللغة العربية وتعلمها كحرصهم على لغاتهم ولهجاتهم التي ورثوها عن آبائهم، بل وأشد حرصاً.
- موقف الأمازيغ أو البربر من الفتوحات الإسلامية، هو في حقيقته موقفهم من الإسلام والعرب والعربية، وهي كلها ليست إلا جزءاً من مسألة أكبر هي تفكيك بلاد الإسلام، وإذابة رابطته من بينها، وإسقاط عقيدة الأمة الواحدة، وإحلال العقيدة القومية محلها، وضرب الحواجز النفسية والاجتماعية واللغوية والقانونية والسياسية بين بلدانها وشعوبها، وإلحاقها جميعاً بالغرب، وهي الغاية الحقيقية التي هبطت الإمبراطوريات الماسونية على الشرق من أجلها، لكي تحوله إلى محضن للمشروع اليهودي.
- وكذلك البربر بعد أن بعثت فرنسا الجاهلية فيهم، وربت ناشئة منهم عليها، وفخرت بهم خلف الإسلام، ووصلتهم بالضالين من آبائهم وأجدادهم، فصاروا يقدسونهم ويتخذونهم رموزاً ويفخرون بالانتساب إليهم، ويسعون إلى إحياء لغتهم وتقاليدهم، ويطيحون في طريقهم إلى ذلك بالإسلام ورسالته، ويسعون لإخراج البربر منه، لأنه جاءهم من جهة العرب الذين يمقتونهم لأنهم قاتلوا هؤلاء الأجداد الضالين، ويكرهون عموم البربر في العربية، لأنها لغة هؤلاء العرب، وهي لغة القرآن والوحي، وأحلوا محل العربية خط التيفيناغ البائد الذي لم تكتب به ورقة واحدة بخصوص أي شيء، واستخرجوه، أو استخرجه لهم الفرنسيون من النقوش التي على المقابر.
- **اقرأ في هذا الكتاب:**
- من أمة الإسلام إلى بلاتيص ستان
- طرائز من الأمازيغ
- تفسير الفتوحات
- في مواجهة الروم لا البربر
- عقبة وكسيلة
- الكاهنة في مواجهة أبنائها
- البربر في رحاب الإسلام

دكتور بهاء الأمير